الأنوار ٣٣

مجلّة إسلامية، ثقافية، دعوية، علمية

تصدرها جامعة أنوار العلوم خيرآباد، تايباد، خراسان

السنة الحادية عشرة، الرقم ٣٣، شعبان ١٤٤٤

لماذا خصّ رمضان بالصوم؟

صحبة القرآن

المسجد الكبير في قرطبة/ إسبانيا

المستكبرون ومكائدهم تحت مجهر الآيات

المتفائل يخطو

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصدَ الله له على مَدرَجته ملكا، فلما أتى عليه قال: أين تريد ؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها ؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه".

رواه مسلم

من أهمّ شروط النَشر في المجلّة:

أن يوثّق البحث علميا، بذكر المصادر، والمراجع، الّتي اعتمدها الباحث مع ذكر رقم الآيات القرآنية، وأسماء السور، وتخريج الأحاديث.

يفضّل أن يكون البحث يشير إلى تاريخ خراسان- رجالها وأماكنها التّاريخيّة-، ويتسم بإثارة الهمم وبعث الرّجاء في النفوس نحو الأهداف المنشودة وإعادة المجد لخراسان.

أن يهتم البحث بمعالجة القضايا المعاصرة، ومشكلاتها، ويسهم بالتحصين الثقافي والتغيير الحضاري، وترشيد الصحوة، في ضوء القيم الإسلاميّة.

أن يكون البحث بخط واضح، ويفضّل أن يكون مكتوبا على آلة الكتابة، وأن لايزيد عن ثلاث صفحات A4 بفونت 14، وترسل السّيرة الذاتيّة والإجازات العلميّة لصاحب البحث.

أن يتسم بالأصالة، والإحاطة والموضوعيّة، والمنهجيّة.

أن يبتعد عن إثارة مواطن الخلاف المذهبي، والسياسي، ويؤكّد على عوامل الوحدة والاتّفاق.

شهر رمضان المبارك فرصة ذهبية / عبد الواحد مؤمني (عليبائي). 2

لماذا خص رمضان بالصوم؟ / السيد أبوالحسن الندوي -رحمه الله- 4

المفتي الأعظم محمد رفيع العثماني -رحمه الله- / عبدالغفار ميرهادي 5

الكأس العالمي لكرة القدم / مجتبى أمتي 8

صحبة القرآن 11

أولو الألباب نحن أم أولو القشور؟ / قاسم حسيني 13

تفسير عشر آيات من بداية سورة الأنبياء معرّب من تفسير معارف القرآن / عبدالمجيد خدادادیان 15

اللغات والاصطلاحات / للطالب: عرفان طاهرنيا 17

التزكية والتربية ضرورة العصر الراهن / إبراهيم يوسف بور 18

رحلة سعيدة إلى زاهدان ديار الأحبة / نعيم فاضلي 21

المستكبرون ومكائدهم تحت مجهر الآيات / عبدالمجيد خدادادیان... 25

رجل يتكلم بالقرآن منذ 70 عاما / حبيب الرحمن حاجي حسيني 29

قد يضيع من ليس حقه التضييع / ميلاد عبادي نيا 31

المتفائل يخطو / للطالب: سيد محمد ماري 32

تحليل على موقف الطالبان تجاه المتعلمات / للطالب: دانيال درويشي... 34

ملتقى التراكمة في جامعة خيرآباد / للطالب: عبدالحكيم إبراهيم نجاد... 36

سلسلة تاريخ الأندلس(2) / للطالب: عبد الله عيدي زادة 38

الأدب سلم يرتقي به الطالب / للطالب: مصطفى كلدادي 41

إذا وسّد الأمر إلى غير أهله / للطالب: علي صفائي 42

ترحب المجلة باقتراحات المفكرين و أصحاب اليراع في حركتها نحو إيجاد الوعي و الصحوة الإسلامية في الأمة، و تستدعي مساهمة جميع الكتّاب و أصحاب القلم في دورها الثقافي.

مجلّة الأنوار

مجلّة إسلامية، ثقافية، دعوية، علمية
تصدر من جامعة أنوارالعلوم خيرآباد ـ تايباد
المشرف العام:
الشيخ عبدالمجيد رجبعلي زادة
رئاسة التحرير:
الأستاذ عبدالواحد المؤمني (علي بائي)

المراسلات:
إيران ـ خراسان ـ تايباد ـ خيرآباد ـ
جامعة أنوارالعلوم ، مجلة الأنوار.
الموقع: WWW.ANVARWEB.NET/AR
Email: anvarweb.netgmail.com

شهر رمضان المبارك فرصة ذهبية

عبد الواحد مؤمني (عليبائي)

نحن الآن في مقتبل شهر رمضان المبارك حيث فرض الله علينا صيامه، وسنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم قيامه، وفيه تنزل على الأمة الإسلامية شآبيب الرحمة. هذا شهر المواساة والمواخاة وإسداءِ الخير والنفع لمن يستحقه اقتداءً بالنبي الكريم -صلوات الله عليه- ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان أجود ما يكون في شهر رمضان بالخير من الريح المرسلة.

ومن بشائر الخير والسرور ما نسمع في الإعلام أن الدبلوماسية النشيطة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية والمملكة العربية السعودية قد وصلت إلى الاتفاق لاستيناف العلاقات الدبلوماسية، والمناسبات السياسية، وترسيخ أواصر المحبة والأخوة، وتبادل الزيارات لكل مواطن في البلدين.

ولا شك أن العلاقات السياسية لكل واحد من البلدين مهمّة جدا، لأن الشعب الإيراني يتمنى أن يتشرف بالحج والعمرة مرة بعد مرة، والحج والعمرة من شعائر الله تعالى.

وهذه العلاقات فيما بين البلدين رابحة لكلا البلدين ولو أسمينا هذا الاتفاق صفقة القرن فالكلام صحيح يطابق الواقع؛ لأن إسرائيل وأمريكا والقوى الطاغية قد تذمّرت وتضعضعت أركانها بعد ما تمّ الاتفاق، فنقول لهم: «موتوا بِغَيظِكُم». (آل عمران:119)

ونحن إذًا نهنّئ القائمين والوفد المفاوض ونشكرهم على هذه الجهود المباركة.

نسأل الله المولى القدير أن يعيد على الأمة الإسلامية بأسرها خاصة الشعب المسلم الإيراني والشعب السعودي الشقيق الخير والبركة والرخاء، ويجعل قادتهم وسادتهم رحماء على الرعية، ويحميهم من أن يقعوا في الفتن والنيران التي أثارتها المسيحية الحاقدة واليهودية الماكرة، وقد قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» (المائدة: 51) وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ».(آل عمران:100-101)

أي: إن تطيعوا فريقا من أهل الكتاب يصيّروكم كفارا بعد أن هديتم إلى الإيمان فاليهود لا تزال تعمل في سبيل إثارة العداء والشقاق لتحقيق نواياها الخبيثة، ولكن الله تعالى ردّ كيدها في نحورها كل مرة: «كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ».(المائدة:64)

فشأن المسلم أن لا يتخذ العدو الصهيوني العدو اللدود وليّا ولا نصيرا بعد ما عرف سريرته وعثر على خبيئته.

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ، إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ». (آل عمران:118)

وأيضا على عاتق من يهمّه الأمر أن يقوم في وجه الفئات المتطرفة؛ لأن الأمة قد أصيبت ونالت منها هذه القوى المتطرفة والإرهابية حيث كانوا ومن كانوا وليسعوا في توطيد العلاقات السياسية والأواصر الودّية؛ حتى يكونوا يدًا واحدة على من سواهم كي يستعيدوا المجد الفائت، ويعتبروا أن العوامل التي أدت إلى خروج العرب من الأندلس هي بالدرجة الأولى انقسامهم إلى فئات متناحرة، وتنازعهم على السلطة، فشجّع ذلك المسيحين على الانقضاض عليهم والقضاء على سلطتهم بعد حكم دام 542 سنة.

وما خرج العرب من الأندلس إلا بعد أن حوّلوها إلى بلاد عامرة مزدهرة نشروا فيها العلوم والمعارف والفنون، ولا تزال آثارهم قائمة تمثّل حضارتهم العظيمة.

وفي الأخير نأمل من الله تعالى أن يرزقنا السعي والاجتهاد في سبيل التوعية، والإرشاد، والدعوة إلى التقارب والوئام.

إنه ولي ذلك والقادر عليه.

و صلى الله على خير خلقه محمد و آله و صحبه

لماذا خصّ رمضان بالصوم؟

السيد أبو الحسن الندوي -رحمه الله-
نقلًا عن كتاب «الأركان الأربعة» للإمام الندوي

جعل الله الصوم في رمضان، فجعل أحدهما مقرونًا بالآخر، مرتبطًا به، فذلك قران السعدين، والتقاء السعادتين في حكمة التشريع، وذلك لأن رمضان قد أنزل فيه القرآن، فكان مطلع الصبح الصادق في ليل الإنسانية الفاسق، فحسن أن يُقرن هذا الشهر بالصوم، كما يقترن طلوع الصبح الصادق بالصوم كل يوم، وكان أحق شهور الله -بما خصه الله من يُمنٍ وسعادة وبركة ورحمة، وبما بينه وبين القلوب الإنسانية السليمة من صلة خفية روحية- بأن يصام نهاره، ويقام ليله.

وبين الصوم والقرآن صلة متينة عميقة، ولذلك كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يُكثر من القرآن في رمضان. يقول ابن عباس رضي الله عنه: «كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أجود الناس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فرسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين يلقاه جبريل، أجود بالخير من الريح المرسلة».(متفق عليه)

يقول العارف بالله، العالم الرباني الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي في بعض رسائله: «إن لهذا الشهر مناسبة تامة بالقرآن، وبهذه المناسبة، كان نزوله فيه، وكان هذا الشهر جامعًا لجميع الخيرات والبركات، وكل خير وبركة تصل إلى الناس في طول العام، قطرة من هذا البحر، وإن جمعية هذا الشهر سبب لجمعية العام كله، وتشتت البال فيه سبب للتشتت في بقية الأيام، وفي طول العام. فطوبى لمن مضى عليه هذا الشهر المبارك، ورضي عنه، وويل لمن سخط عليه، فمُنع من البركات، وحُرم من الخيرات».(رسائل الإمام الرباني، الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي)

ويقول في رسالة أخرى: «إذا وفّق الإنسان للخيرات والأعمال الصالحة في هذا الشهر حالفه التوفيق في طوال السنة، وإذا مضى هذا الشهر في توزّع بال وتشتت حال، مضى العام كله في تشتت وتشويش».(المصدر السابق)

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إذا دخل رمضان فُتحت أبواب الجنة، وأُغلقت أبواب جهنم، وسُلسلت الشياطين».

والأحاديث في الباب كثيرة.

موسم عالمي ومهرجان عامّ للعبادات والخيرات:

وهكذا أصبح رمضان موسما عالميا للعبادة والذكر والتلاوة والورع والزهادة، يلتقي على صعيده المسلم الشرقي مع المسلم الغربي، والجاهل مع العالم، والفقير مع الغني، والمقصّر مع المجاهد؛ ففي كل بلد رمضان، وفي كل قرية وبادية رمضان، وفي كل قصر وكوخ رمضان، فكل ذي عينين يستشعر جلاله وجماله أينما حلّ ورحل في العالم الإسلامي المترامي الأطراف تغشى سحابته النورانية المجتمع الإسلامي كله، فيحجم المفطر المتهاون بالصوم عن الانشقاق عن جماعة المسلمين، فلا يأكل إلا متواريًا أو خجلًا، إلا إذا كان وقحًا مستهترًا من الملاحدة، أو الماجنين، أو كان من المرضى والمسافرين، الذين أذن الله لهم في الإفطار، فهو صوم اجتماعي عالمي، له جو خاص، يسهل فيه الصوم، وترق فيه القلوب، وتخشع فيه النفوس، وتميل فيه إلى أنواع العبادات والطاعات، والبر والمواساة.

الجو العالمي وما له من تأثير في النفوس والمجتمع:

وقد لاحظ ذلك شيخ الإسلام أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي بنظره الدقيق العميق، فقال وهو يشرح حديث: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة...»: «إذا التزمته أمة من الأمم سلسلت شياطينها، وفتحت أبواب جنانها، وغلقت أبواب النيران عنها».

ويقول في موضع آخر:

«وأيضًا فإن اجتماع طوائف عظيمة من المسلمين على شيء واحد، في زمان واحد، يرى بعضهم بعضًا معونة لهم على الفعل، ميسّر عليهم ومشجع إياهم».

«وأيضًا فإن اجتماعهم هذا لنزول البركات الملكية على خاصتهم وعامتهم، وأدنى أن ينعكس أنوار كُمَلهم على من دونهم، وتحيط دعوتهم من وراءهم».

المفتي الأعظم محمد رفيع العثماني -رحمه الله-

عبد الغفار ميرهادي

لا شك أنّ سيرة العلماء الربانيين من أهم الحوافز والدواعي لإصلاح وتزكية الأفراد، ذلك لأنهم سلكوا طريق الوصول إلى الله، وربَّوا أنفسهم تربية صحيحة هادفة بمجاهدات وتضحيات، ونية صحيحة صادقة، وعلو في الهمة، فيجعلهم الله بذلك منارة نور يهتدي الناس بهم في ظلمات الجهل والفتن، وسببا لخدمات بارزة مرموقة في ميادين مختلفة علمية وإصلاحية، قومية وعالَمية. وإنّ رحيلهم من هذه الدار الفانية يوجِد ثلمة لا تُسدّ وفراغا لا يملأ -إلا بإذن الله ورحمته-، وفي الحديث إشارة إلى ذلك: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ -أَوِ التَّمْرِ- لَا يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَةً».(1) إنّ كلمتي هذه عن عالم ربّاني نشأ وترعرع في أسرة علمية وعملية، وفي بيئة يحيطها ويختلف فيها أكابر العلماء، إنّه أبصر النور في ديوبند عن أبوين صالحين.

يفتخر الكاتب الفقير إلى الله حيث وفّقه لزيارته، ومجالسته، ومحادثته، وتتلمذه. فرأى من الواجب عليه أن يكتب عنه شيئا أداءً لحق أستاذ على تلميذه.

اسمه ومولده: وُلد -رحمه الله- في ديوبند في الهند ليلة الجمعة في 2 من جمادى الأولى 1355هـ ق، وسُمّي «محمد رفيع». (أسماه الشيخ حكيم الأمة أشرف علي التهانوي -رحمه الله-). هو ابن العلامة محمد شفيع العثماني، المفتي بدارالعلوم ديوبند، ومؤسس جامعة دارالعلوم كراتشي، والمفتي العام بباكستان، ابن الشيخ محمد ياسين -رحمهما الله-.

أساتذته:

تلقّى العلم على جهابذة العلماء، منهم: 1- والده الماجد المفتي العام محمد شفيع العثماني صاحب التآليف الكثيرة، وكان -رحمه الله- متأثرا به واستفاد منه كثيرا، حيث درس تخصص الفقه والإفتاء عنده، واشتغل به تحت إشرافه طيلة حياته، ولازمه وصاحبه فكان حشره ونشره معه، يا له من سعادة! فانتقل إليه منه الشيء الكثير من العلم والتجربة والمهارة، فأصبح الفقه سجيّته، حيث لُقّب بعد والده بـ»المفتي الأعظم». 2- الشيخ أكبر علي السهارنفوري وهو تلميذ الشيخ خليل أحمد السهارنفوري. 3- الشيخ المفتي رشيد أحمد اللدهيانوي صاحب كتاب

«أحسن الفتاوى» وتلميذ للشيخ حسين أحمد المدني -رحمه الله-. 4- الشيخ سَحبان محمود -رحمه الله- شيخ الحديث بدارالعلوم كراتشي. 5- الشيخ القاري رعاية الله -رحمه الله-. 6- الشيخ سليم الله خان -رحمه الله-. (انظر مقدمة المقالات الفقهية له ص18 إلى 28)

الأستاذ في نظر عابر:

كان الأستاذ -رحمه الله- فقيها ومفتيا، مُرشدا ومربّيا، مؤلّفا ومصنّفا، خطيبا مفوّها، ومديرا مُدبّرا، فهيما ودقيق النظر، موفَّقا، صارما، ورؤوفا، منظِّما ونظيفا، محتاطا، ذا هيبة، ذاكرا، وعابدا، مجاهدا، ورحّالة. وفيما يلي بعض صفاته وجوانب حياته بشيء من التفصيل:

تواضعه وإظهار فضل الآخرين:

إنّ من أخلاق السلف أنهم يذكرون فضل الآخرين ولايحسدونهم. سمعت من الأستاذ -رحمه الله- أنّه يذكر أخاه الأصغر منه المفتي محمد تقي -حفظه الله- بلقب «شيخ الإسلام»، وكان يبجّله، ويحترمه، ويدعو له، مرة أحال أثناء الدرس إلى كتاب له قائلا: قال أخونا شيخ الإسلام مولانا محمد تقي العثماني في كتابه: ..... سمعته (في مقطع) يدعو له ويبكي: اللّهم بارك له في علمه وعمله وعمره، اللّهم احفظه وقال: إنّي أدعو له من صميم القلب كلّ يوم.

وكتب في تقريظه على المدوّنةالجامعة (الموسوعة الحديثيّة الكبيرة التي قامت بتدوينها دارالعلوم كراتشي): إنّ أخي المكرّم المحدّث المفتي محمد تقي العثماني -حفظه الله- يقوم بأعباء هذه الموسوعة، ولقّبه كبار العلماء بـ«شيخ الإسلام» لرسوخه وتعمّقه في العلوم الشرعية، وتوفيقاته في ميادين العلم والتحقيق. (مجلة البلاغ رقم 53ص19 ط 1439ق).

ومما يدلّ عليه أنه كان يدرّس كتاب «أصول الإفتاء» لأخيه الشيخ المفتي محمد تقي -حفظه الله- لطلبة التخصص في الفقه، (قاله الشيخ عبدالستار نيكخو المتخرّج من دارالعلوم كراتشي والذي درس الإفتاء بها، والأستاذ بجامعة أحناف بخواف). ومثل هذا لا يصدر إلا ممّن رُزِق تواضعا وسعة صدر.

نماذج من أسلوبه في إيجاد النظم في الجامعة:

كما ذكرت آنفا، كان -رحمه الله- قاطعا في الأمور لا يحبّ سوء النظم والتهاون في الأمور. مرة أُخبِر بأنّ طالبا في السنة الثامنة (أو السابعة) من الدراسة غيّر الدفتر الصّفي بأن سجّل الحضور لبعض الغائبين، فأمر الطلبة فاجتمعوا، بعد الحمدلة والبسلمة تنهّد الصعداء وقرأ مرارا: «إنا لله وإنا إليه راجعون» خفت كثيرا، وذهبتْ فكرتي كلّ مذهب، ثمّ أبدى أسفه العميق وتحدّث عن شناعة الحادث، وقال ما قال! وأضاف: أرجو الله أن يكون الخبر كاذبا - غير أنّي عازم سفرا إلى إفريقيا- ولكنّي كوّنتُ فريقا للتحقيق والبحث عن الموضوع، فلو صدق الخبر لأخرجتُ الطالب من الجامعة، واستغرق سفره ثمانية عشر يوما، فلمّا عاد الأستاذ أعلن نتيجة البحث وأخرجَ الطالب من الجامعة. وقال: «من خان في الجامعة خان في المجتمع».

كان يَخرج بعض الطلاب بعد صلاة العصر مباشرة قبل الأذكار والأدعية المأثورة، وبعضهم يؤدون سنة الفجر قرب صفوف الفرض، وذلك مكروه كما ورد في كتب الفقه، فأعلن الأستاذ من خرج من المسجد قبل الأذكار والأدعية، ومن أدّى سنة الفجر عند صفوف الفرض، فهو يُخرَج من الجامعة.

كان -رحمه الله- إذا قال: لا، قاله بملئ الفم، وإذا قال: نعم، قاله بملئ الفم. حكى الأستاذ في الصف: مرة مررت على باب دار التحفيظ للقرآن الكريم وفيها أبناء المسلمين يحفظون القرآن الكريم، وجلّهم في الصغر، فإذا رأيت أستاذهم يضربونهم عن آخرهم، فوقفت، وسألته: لماذا تضربهم؟ فأجاب: التقصير يرجع إلى أحدهم ولكني أضرب الجميع، فأغضبني أمره وقلت: المقصّر واحد، كيف تضرب الجميع؟! هذا ذنب، ثم حكم بإخراجه.

الإتقان في الأمور:

ممّا يحبّ الله تعالى ويرضاه، هو الإتقان في الأمور، كما ورد في الحديث الشريف: «إنّ الله يُحبّ إذا عمل أحدكم

عملا أن يُتقنه» (رواه أبو يعلى في مسنده) و«إنّ الله يحبّ معالي الأمور ويكره سفاسفها»، و «إنّ الله كتب الإحسان في كلّ شيء....» كان رحمه الله متصفا بالإتقان في أموره وشؤونه، وفي هذا المنطلق كان صبورا ذا متانة وأناة وتأنٍّ في الأمور، وكان دقيقا في إدارة الجامعة، ويعتني بها اعتناء بالغا عديم النظير، قد وفّر فيها جميع ما يحتاج إليه الطلاب في الجامعة من مباني مختلفة فخمة وجميلة للدراسة، ودور لسكن الطلاب والأساتذة، وملاعب مختلفة لهم، وحدائق مخضرّة، وعدّة دكاكين، ومستوصف مع طبيب وأدوية، وكان يقول في كلمته الافتتاحية في بداية العام الدراسي مبتسما: حتى إن مِتّم في الجامعة قد أعددنا لكم مقبرة نقبركم فيها.

جهاده:

ساهم -رحمه الله- في جهاد أفغانستان ضد اتحاد الجماهير السوفيتية مرتين؛ ليكون في زمرة المجاهدين، وكان ذلك سنة 1988م و 1991م، وكتب في ذلك كتابا، سيأتي ذكره في بيان تأليفاته.

حكاية:

انتشر خبر جوّي في الأخبار أن عاصفة وريحا شديدة تقصد وتقبل نحو كراتشي وتهددها، فأمر الأستاذ أن يجتمع الطلبة، فقام وألقى كلمة مؤثرة، وذكر الاحتياطات والتدابير اللازمة، ثمّ أمرنا ببعض الأذكار والأوراد، وبعد دقائق دعا وتضرّع إلى الله وبكى وأبكى، ثم جاء الخبر بأنّ العاصفة تغيّرت مسيرتها.

ذكريات طيبة:

...ومما يسرّني ومن حُسن حظي أنّ الأستاذ كان يأخذ اسمي كثيرا أثناء تدريسه لكتاب «صحيح مسلم» مبحث البيوع والمعاملات، وذلك لتوضيح المسائل بضرب المثال، مرة قال الأستاذ: من يحبّ أن آخذ اسمه عند توضيح المسائل؟ فرفع الأيدي جمعٌ كبيرٌ من الطلاب فانتخبني الأستاذ وجاري في الصف. ...ذات ليلة ذهبت إلى الأستاذ قبل نهاية العام الدراسي الأخير بشهر أو شهرين وقلت له: سماحة الأستاذ! غلبني قلق وهو فراغ الجامعة والأساتذة عن قريب، فضرب الأستاذ على منكبي، ثم قال: من أين أنت؟ قلت من إيران، خراسان، ثم قال: نحن أيضا قلقون من فراغ الطلبة وتابع: غدا (في الآخرة) نلتقي معا. ...مرة ذهبتُ إلى الأستاذ وقلت: إني أحبّ أن أخدمكم (أغسل ملابسكم) فأخرج الأستاذ جوربيه من جيبه وقال: اغسلهما فأخذتهما مسرورا، فغسلتهما، وفي الصباح الباكر بعد صلاة الفجر سلّمتهما الأستاذ، قال بالأردوية: (بهت أ ها دهوليا) غسلتَهما جيدا.

ليلة الوداع:

وصلتْ الليلة الأخيرة من العام الدراسي وكان الغد موعد الرجوع إلى البيت، يخرج الأستاذ من المسجد بعد صلاة العشاء وكانت الطلبة يزورونه ويصافحونه، فلمّا دنوت إليه وسلّمت عليه، فتح أحضانه وعانقني بلطفه الحفيّ، وقال: لعلّي آذيتك في الصف بذكر اسمك، قلت: لا يا أستاذ! إني كنت مسرورا جدا عند ذلك، ثمّ أخذ طريقه إلى بيته، فلمّا وصل الأستاذ باب منزله وكان وحيدا ذهبت نحوه، وقدّمت إليه هدية بسيطة، وقلت: يا أستاذ إني سأرجع غدا إلى وطني وبيتي فادع الله لي، قال الأستاذ: إني أقرأ آية الكرسي أو الفاتحة وأنفث عليك واقرأ أنت أيضا وانفث عليّ، ثم دعا لي الأستاذ، وفارقته وكان ذلك لقائي الأخير معه، لن أنسى تلك الليلة.

تأليفاته:

إنّ الأستاذ -رحمه الله- مع كثرة وظائفه وأشغاله وأسفاره لم يغفل عن ميدان التأليف والتحقيق، فظهر منه عدد من الكتب بالعربية والأردية، منها ما هو تحقيق لكتاب، أو بحث علمي لإحدى المجامع الفقهية الدولية، أو ضبط خواطر، أو جواب لاستفتاء، فجُمعتْ مجموعة صالحة طيّبة باقية تنفع الأمة الإسلامية، وفي التالي بعض أسماء كتبه: «درس مسلم» في مجلدين بالأردية أماليه لصحيح مسلم.

«المقالات الفقهية» فيه مقالات قدّمها لمجمع الفقه الإسلامي بجدة، وهي ما يلي: «ضابط المفطرات» و«مكانة الإجماع في الفقه الإسلامي» و«الأخذ بالرخص» و«بيع الوفاء». «إمداد السائلين» فتاواه، بالأردية، وهي تبلغ 3411 فتوى كتبه بنفسه، وما قام بإصلاحه وتصويبه من فتاوى طلبة التخصص في الفقه والمشتغلين بدار الإفتاء يبلغ عدده 4267 فتوى، وقد طبع وانتشر المجلّد الأول من فتاواه -من كتاب الإيمان إلى نهاية كتاب الطهارة-.(2) «جهاد أفغانستان» ألّفه بعد جهاده في أفغانستان ضدّ روسيا السابقة، «كتاب يقص قصص جهاد أفغانستان بحيث يبعث روح الجهاد في قلب القارئ ويزيد في حنينه إليه ويحثّه عليه وعلى الموت في سبيل الله تعالى».(3) وهو كتاب يتجلّى فيه أدبه الرفيع.

«كتابة الحديث في عهد الرسالة والصحابة -رضي الله عنهم-»، كتاب قيّم في موضوعه بالأردية، فيه ردّ علمي تحقيقي لبعض شبهات المستشرقين ومنكري الحديث.

«نوادر الفقه» في مجلدين.

«الخطابات الإصلاحية» في عشرة مجلدات، هي التي ألقاها لإرشاد الطلبة وتزكيتهم، كان له مجلس لهذا

الغـرض، يقـام يـوم الأربعـاء بعـد صـلاة العصـر.

بعض أقواله ونصائحه:

كتـب الأسـتاذ بعـض النصائـح القيمـة الثمينـة لطـلاب دورة الحديـث، وإنهـا نـكات مهمـة أساسـية، وهـي مـا يلـي: 1- الديـن يشـمل الفقـه الظاهـر والباطـن، وهـو لا يكتمـل إلا بهذيـن الفقهيـن، إنّ مـا تعلّمتمـوه إلـى الان هـو الفقـه الظاهـر، والمـرء لا يكـون عالـمَ الديـن إلا بهمـا، فلـذا يحتـاج إلـى السـعي والاجتهـاد في الفقـه الباطـن، وهـو لا يحصـل بالكتـب فحسـب، بـل لا بـد مـن مصاحبـة شـيخ ومـربّ في التزكيـة والتربيـة، وذلـك بتسـليمك إليـه «كالميّـت في يـد الغسّـال» حيـث تخبـره عـن أحوالـك وتعمـل بإرشـاداته. 2- التـزام اتبـاع السـنة في جميـع شـؤون حياتـك ومعاملاتـك، لا سـيما مـع أسـرتك وأقربائـك. -الصحابـة رضـي الله عنهـم- كانـوا أسـوة صالحـة في اتبـاع السـنة، يعيـن الإنسـان في ذلـك مطالعـة سـيرتهم. 3- كتـب الإمـام أبوحنيفة-رحمـه الله- توصيـات وإرشـادات لتلميـذه الرشـيد الإمـام أبـي يوسـف -رحمـه الله- طالعوهـا واجعلوهـا نصـب أعينكـم.

4- تجنّبـوا مـن الإعجـاب بالـرأي، واستشـيروا في أموركـم المهمـة أصحـاب الـرأي الناصحيـن الأخيـار الأبـرار، وتعـوّدوا على ذلـك. 5- ابحثـوا عـن خدمـة (مشـغلة) دينيـة علميـة تكفـي كفايتكـم، وعُدُّوهـا أفضـل مـن المشـاغل الأخـرى الدنيويـة، واحسـبوها نعمـة عظيمـة، ولا تألـوا جهـدا في تأديـة حقهـا. 6- تدريـس وتعليـم القـرآن الكريـم والاهتمـام بـه، ولـو كان المتعلمـون والسـامعون قليليـن. 7- الإنابـة والرجـوع إلـى الله في أموركـم. 8- ادعـوا الله لأساتذكم، وهـذا الأمـر يفيدكـم، ولا تنسـوني في دعائكـم.

وفاته:

تـوفي -رحمـه الله- في23 ربيـع الثانـي 1444هـ.ق، وحضـر جنازتـه وتشـييعه آلاف مـن أهـل العلـم وسـائر النـاس، وصلّـى عليـه شـيخ الإسـلام المفتـي محمـد تقـي -حفظـه الله- ودفـن بمقبـرة دارالعلـوم، وهكـذا فقـدت الأمـة الإسـلامية أحـد أعلامهـا.

اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنّا بعده.

المراجع:

1- صحيح البخاري، كِتَابُ: الرِّقَاقُ، بَابُ ذَهَابِ الصَّالِحِينَ، الحديث 6434.
2- مقدمة امداد السائلين ص60
3- مقدمة المقالات الفقهية له.

الكأس العالمي لكرة القدم

مجتبى أمتي

الكأس العالمي لكرة القدم:

على حـّد علمـي وخبرتـي لا يوجـد على وجـه الكـرة الأرضيـة أحـد يجهـل كـرة القـدم والـكأس العالمـي لكثـرة التبليغـات والجاذبيـات، ومـا فيهـا مـن تـرف وبـذخ وهيجانـات وأحاسـيس وميسـر وإنفـاق مصاريـف نجوميـة لـم يكـد يصدقهـا العقـل. زد إلـى ذلـك الارتبـاط الوثيـق بيـن الرياضـة والسياسـة.

فجُـل لحظـة في الـكأس العالمـي لعـام 1986م المسـابقة بيـن أرجنتيـن وإنجلتـرا، ومـا قالـه «مارادونـا» قبـل المبـاراة، تتأكـدْ بهـذا الواقـع، وحضـور «إمانوئـل ماكـرون» في الـكأس العالمـي لعـام 2022م لـم يكـن مصادفـة؛ وإصـراره و اسـتدعاده مـن

«كريـم بنزمـا» للحضـور في فينـال، لـم يكـن مجـرد طلـب للفـوز فقـط.

قـد يقضـي على العجـب مصاريـف كـرة القـدم، ويجعـل الإنسـان مشـدوها حائـرا مـن شـراء لاعـب وعقد المبـارات على مسـتوى البلـد والقـارة والعالـم، وإلـى اهتمـام الـدول الغنيـة والفقيـرة ببـذل كمّيّـات كبيـرة مـن خزانـة الدولـة، تربـو هـذه المصاريـف على ملاييـن دولارات. أو يقـول عاقـل هـذا يختصـر في مقصـود الرياضـة وهـو سـلامة البـدن والصحـة أو التنشّـط والترويـح عـن النفـس أو الالتـذاذ بالفـوز فحسـب؟!

وراء هـذه الجهـود الحقيقيـة المتّسـعة الكثيفـة أهـداف يرسـمها ويحققهـا جنـود إبليـس إنسـا وجنـا «وَإِنَّ الشَّـيَاطِينَ لَيُوحُـونَ إِلَـىٰ أَوْلِيَائِهِـمْ لِيُجَادِلُوكُمْ»الأنعـام121.

هـذه الأهـداف ليسـت مبـرزة ظاهرة؛ بـل مزخرفة مزينـة لا يعثر عليهـا إلا مـن بصّـره الله باليقيـن، وفرّسـه بالتقـوى، والعـارف بالشـيطان يعلـم يقينـا أنـه يغـوي الإنسـان بالتسـويلات والتزئينـات: «وَزَيَّـنَ لَهُـمُ الشَّـيْطَانُ أَعْمَالَهُـمْ فَصَدَّهُـمْ عَـنِ السَّـبِيلِ فَهُـمْ لَا يَهْتَدُونَ»نمـل24.

فـلا شـكّ أن كـرة القـدم شـبكة مخططـة وأرضيـة صالحـة لمـا تحتـوي على أكثـر الأشـياء جاذبيـة لإنجـاز كثيـر مـن أهـداف الشـيطان، والخبيـر يعلـم أن الشـيطان يترصـد غفلـة الإنسـان ونسـيانه لينفـث فيـه سـمومه، ومـا أغفـل ابـن آدم إذ يـزاول كـرة القـدم ويشـاهدها ويجعـل حياتـه كلهـا كـرة القـدم!! فكـم تضيـع الصلـوات، وتنسـى الآخـرة، ويشـرب الخمـر، ويحكـم القلـوب الحسـد والبغضـاء، ويقامـر؟! وفـوق ذلـك كلـه يبـاع الإنسـان ويشـترى، ويسـتعبد ويذكّـر بعهـد العبيـد.

أضرار كرة القدم الأخلاقية

إن كـرة القـدم بنيـت على الخـداع والمكـر، وسـهم الكـذب فيـه كثيـر جـدا! قلمـا تجـد لاعبـا يفضـل الصـدق، أو لا تجـد أبـدا، وكأن الكـذب لهـا مزيـة مـن المزايـا، ومهـارة مـن المهـارات. لقـب «مارادونـا» إلـه كـرة القـدم ويدهـا يـد الإلـه لأنـه اسـتطاع أن يخـدع الحَكَـم ويدخـل كـرة القـدم المرمـى ويسـجّل هدفـا باليـد!! وكل لاعـب في الميـدان يحـاول خـداع الحكـم. لهـذا السـبب تـرى الكـذب متأصـلا فيهـا. قيـل لأفضـل المراوغيـن إنـه «سـاحر» لكثـرة خداعـه وكذبـه. ومـن ناحيـة أخـرى تسـود اللّاأخلاقيـة في هـذا اللعـب، إذ الأجـواء الحاكمـة

فيه أجواء عصبية سياسية مادية محضة تؤدي في غالب الأحيان إلى التوتر والانهيار والاشتباكات الدّامية والسب والشتم، قد يتجاوز هذا إلى حماة الفريق والمشاهدين من التلفاز من المسافات البعيدة وانجر في بعض الأحايين إلى النوبات القلبية والصدمة النفسية التي لا تجبر، ومن العجب العجاب وجود الضغائن والأحقاد في القلوب بين اللاعبين والحماة بشكل انتقالي سريع كسريان النار في الهشيم.

قلوب تشتعل غيظا وتترصد الانتقام والجبر، مليئة بالبغض والنفرة، لا ترتاح و لا تطمئن حتى تأخذ ثأرها، لا تكتحل بنوم ولا تلقى سكونا، وهذا هو المطلوب للشيطان ليصطاد من الماء العكر ويغرس ما شاء من الكفر والإلحاد والشقاق والخلاف بين بني آدم «وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ، وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا»الإسراء64.

ومن المشاهد والمجرب أن الفحشاء تسربت في لاعبي كرة القدم؛ فإن المال الكثير قد يطغي الإنسان ويصنع منه ذئبا ضاريا وأسدا فتاكا ولبعضهم ملفات في المحاكم قد يتندى الجبين منه عرقا وخجلا وهم لا يكترثون بها ولا يلقون بالا ولا يرون بها بأسا بل و يجهرون بها، وبذلك يشيعون الفاحشة في الناس؛ لأنهم يُعبدون وعابدوهم يقلدونهم حبا وشوقا، ولهذا أسس مذهب باسم «مارادونا» وصار صنما.

أضرار كرة القدم المالية:

في حين يعاني كثير من الناس في أقطار الأرض الجوع والأزمات الاقتصادية، تنفق أموال باهظة لشراء لاعب واحد لنوايا غير صالحة، كصفقات ربوية بين تجار الدنيا، والمقامرات الكبيرة، أعجبني شراء لاعب برتغالي بمأتي مليون يورو من قبل نادي «النصر» لموسم واحد وهذا هو الإسراف والتبذير المذموم في القرآن، ولا شك أنّ هذه الأموال والمصاريف ليست شخصية فحسب، بل وفيها ساهم كثير من أصحاب ذوي الحاجات فتتصرف فيه الدول.

أضرار كرة القدم النفسية:

لَيعلم المطلع بكرة القدم أنها من أكثر الألعاب حساسية إذ الانقلابات والتحولات لا تدور في دائرة الحساب، إذ الفائز قد يكون منهزما في الثانية الأخيرة والعكس، وقد يكون للاعب ماهر شهير دور ضعيف في فوز فريق وقد يكون لفريق صاحب الكؤوس في الطراز الكبير خيبة، فيؤدي هذا إلى صدمات نفسية مستمرة يعكر عليه صفو الحياة ويجعله يؤوسا قنوطا وقل ما شئت من سبّات وطعنات تتوجه نحوه من قبل حماة ذلك الفريق، وهذه هي بغية الشيطان أن يضعف بني آدم بسبب أشياء تافهة، ويغتنم ضعفه ووهنه وينزل به ضربات قاسية.

والتجربة كشفت أن لاعبي كرة القدم من أكثر اللاعبين توترا واشتباكا.

أضرار كرة القدم الجسمية:

رغم أن الرياضة تفيد الجسم وتنشط الذهن لكن كرة القدم أثبتت أنها رياضة انفجارية تسبب كثيرا من المشكلات العضوية، ولأن مبناها على رد الفعل السريع والعزم المفاجئ فلهذالسبب كسر الأعضاء شائع جدا فيها.

أضرار كرة القدم المعنوية:

ليس في العالم شيء ينسي بني آدم على هذا القدر ويأتي بالغفلة والذهول كما تنسي كرة القدم وتغفّل والنسيان رأس الضلالة والطغيان، وآلة من آلات الشيطان وسهم من سهامه!

«فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا»

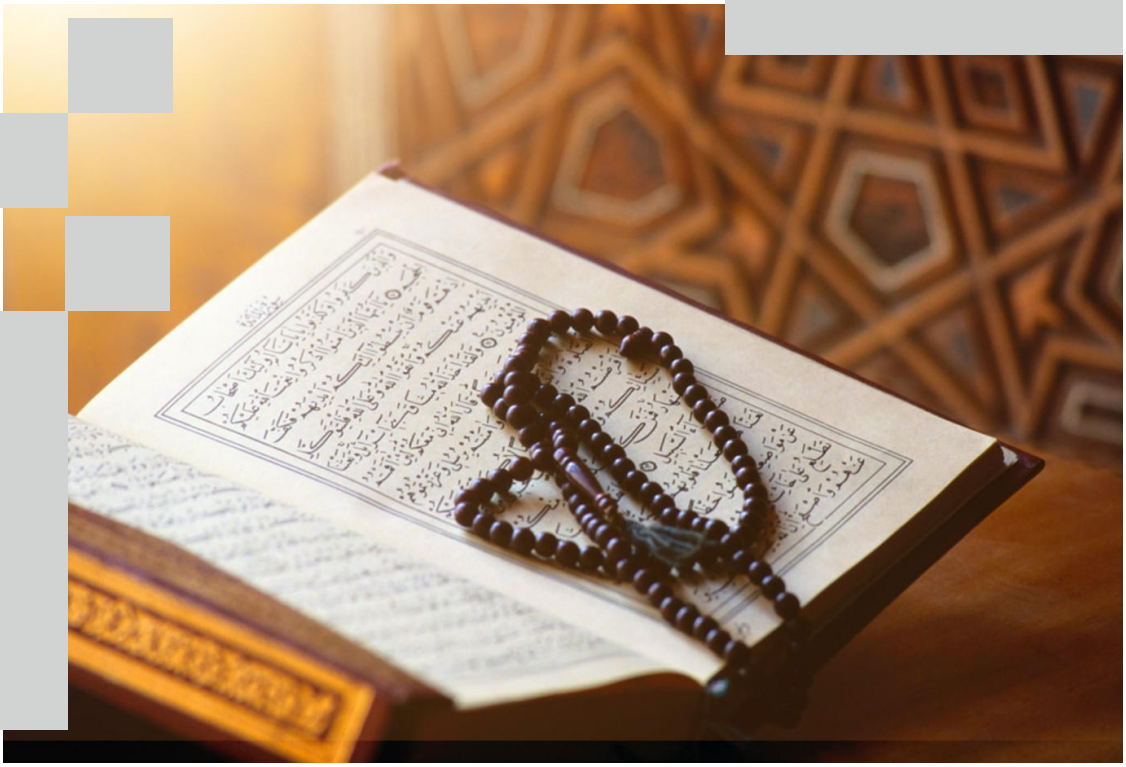

صحبة القرآن

صاحبْ من شئت تُعرف به، وتعلّق بما أردت من أيّ شيء من متعلقات الحياة يظهر أثره عليك ولا بد! فما ظنكم بصحبة الشرف والفخر والذكر الرفيع؟! ما تقولون في صحبة القرآن، كلام المنان سبحانه وتعالى.

إنني سأتناول في هذه العجالة جانبًا عظيمًا من الجوانب التي جعلها الله في كتابه الكريم.

أقصد بذلك وصف الصحبة للقرآن، وما أجمله من وصف جاءت به النصوص الشرعية تدلّ على علاقة متينة وصلة حميمة تربط بين المؤمن المحبّ للقرآن، المتصل بكلام ربه سبحانه وتعالى، وبين هذا القرآن العظيم حتى تنشأ علاقة يمكن أن توصف بأنها صحبة للقرآن الكريم.

في عدد من النصوص الشرعية جاء وصف فضل القرآن مرتبطا بصحبته وهذا أمر مقصود.

تأمّل معي قول الصادق المصدوق بأبي وأمي عليه الصلاة والسلام عندما يقول: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا».(1)

يقول أيضا -صلى الله عليه وسلم- : «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ...»(2)

يقول أيضا -صلى الله عليه وسلم-: «الصيام والقرآن، يشفعان لصاحبهما يوم القيامة». الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِصَاحِبِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

إن النصوص التي جاءت تدل علي فضل القرآن، ومن يتعامل مع القرآن، ومن يأخذ بالقرآن جاءت على نوعين: نوع يدل على شرف وفضل وأجر لمن قرأ القرآن، لمن أخذ بالقرآن، لمن تعامل مع القرآن كما يقول عليه الصلاة والسلام: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ...»(3) ويقول: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا...»(4)

لكن النوع الآخر من النصوص، هو الذي جاء مقصودا لمن يصاحب القرآن.

يا أهل القرآن! هل انتبهنا إلى أن المقصود أن تنشأ علاقة يصدق عليها وصف الصحبة بين أحدنا وبين القرآن؟ أجل والله!!

لأنه يراد مني ومنك عبدَ الله!!

يراد منا أن تكون لنا علاقة وثيقة بالقرآن، توثّق صلتنا بالقرآن حتى يصبح أحدنا مصاحبا للقرآن.

أرأيت إلى وصف الصحبة ومعناها كيف يكون؟

إنّ الصحبة تعني صلة مستمرة دائمًا. إن الصحبة تعني اتصالا مستمرًا. إنّ الصحبة تعني خصوصية في العلاقة أكثر من مجرد التعارف، وهذا مصطلح نطلقه حتى في علاقاتنا بيننا.

تعرف أناسًا كثيرين لكن ليسوا كلهم يعدّون أصحابًا لك. إن الصاحب لك هو ذاك الذي استمرت بك علاقته! فيُرى معك على الدوام، وهو معك في كل وقت، في كل مكان.

إن الصاحب لك؛ هو ذاك الذي يعرف أسرارك، ويكشف أخبارك، وله من العلاقة بك ما ليست لغيره ممن عرفت ونشأت بينك وبينهم العلائق. إذن الصحبة درجة عالية

من العلاقة فيها الخصوصية، فيها القرب الشديد، فيها المعرفة التامة. هكذا هي أيضًا تكون صحبة القرآن.

إن صحبة القرآن ليست مجرد قراءة له يا أهل القرآن! إن صحبة القرآن تعني أن تكون لك العلاقة مع القرآن، قراءة، تدبرًا، فهمًا، تقليبًا لأسراره، غوصًا في عجائبه، معرفة بخفاياه وحِكمه وبديع ما أودع الله سبحانه وتعالى فيه.

إن صحبة القرآن تعني باختصار شديد العيشَ الصادقَ مع القرآن. صحبة القرآن تعني أن تكون لك مع القرآن جلسات، أسرار، خلوات، لك مع القرآن قيام به في الليل، قراءة به في النهار، تدبّر، تحريك للقلب به. عندما يكون القرآن جليسك إذا خلوت، ودواءك إذا مرضت، عندما يكون القرآن الكريم مكانا لإنعاش فكرك وإمتاع روحك، عندما يكون القرآن بهذه المثابة في حياتك، يصدق أن تقول إنك قد صاحبت القرآن.

أحبتي الكرام!

بين أحدنا وبين القرآن مسافات تقرب تارة وتبتعد تارة ولا بد أن نقول صدقًا وانصافًا ومصارحة: ليس كلّ من قرأ القرآن بالضرورة صاحبه. لأن منّا من يقرأ القرآن ولم ينجح بعد في إقامة علاقة الصحبة مع القرآن. والنصوص التي بيّناها في بيان فضل صاحب القرآن جاءت تقصد وصف الصحبة وعلاقتها مع القرآن. فما كل من قرأ القرآن صاحبه، لكنه بالضرورة من صحب القرآن يكون قد قرأ، وربما حفظه، وتعلق به، وتدبره، وكم حرك القلوب وأنعشها به.

إن وصف الصحبة تعني الخصوصية. تعني الإقبال والاستمرار. ولنا في هدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مثل واسع وأمثلة متعددة لنعرف كيف يكون أحدنا مصاحبًا للقرآن.

كان عليه الصلاة والسلام يقرأ القرآن آناء الليل وأطراف النهار. يقوم به بين يدي ربه في جوف الليل تاليا متدبرًا يقرأ القرآن في القيام، فربما قرأ السورة حتى تكون أطولَ مِن أطولَ منها. وربما وقف مع الآية من سورة من السور في القرآن فيظل يردّدها حتى يصبح.

ربما أحبّ أن يسمعه من غيره كما سمع عن ابن مسعود -رضي الله عنه-.

هكذا هي صحبة القرآن: تنويع، واستمتاع بالقرآن، استماع، وقراءة، وتدبر، وقيام به، وعيش معه. إننا عندما ندعو إلى صحبة القرآن، فإنا نستمتع بوصف آخر من أوصاف القرآن البديعة الماتعة التي تكوّن علاقة لأحدنا مع القرآن.

إن صحبة القرآن لها دلالة أخرى بعيدة المدى. عندما تصاحب القرآن، سيصحبك القرآن.

أجل أصدقائي الكرام!

من أحسنَ صحبةَ القرآن، واستمر به، ووقّر علاقته معه، وجد القرآن مصاحبًا له في أحوج ما يكون إليه. اقرؤوا القرآن، فإنه ياتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه.

أحسن صحبتك للقرآن في هذه الدنيا ليُحسن القرآن صحبتك أحوجَ ما تكون إليه.

من صحب القرآن في حياته، صحبه القرآن بعد مماته. يصحبه في قبره، يصحبه في حشره، تلك الصحبة التي تجد أثرها. تلك الصحبة التي ستنفعك يوم تلقى الله. إذا صحبك القرآن في ذلك الموقف العصيب أخذ بيدك نحو النجاح، شفع لك، نجّاك من الكرب، هوّن عليك الموقف، وأزال عنك الفزع، وأمّن على سعادتك. صحبة القرآن، توصلك إلى أعالي الجِنان. يقال لصاحب القرآن: إقرأ وارتق ورتل فقط لأنك صحبت القرآن.

همسة في أذن الجميع حُبّا ونُصحا وصدقا:

أحسِنوا صحبتَكم للقرآن يا أمة القرآن: يُحسِن القرآن صحبتَكم ويكون معكم أحوج ما تكونون إليه. إنها صحبة القرآن و كفى.

.....

المراجع:

1- سنن أبي داود،كتاب الصلاة، بابُ: استحباب الترتيل في القراءة.

2- صحيح مسلم، كتابُ: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.

3- صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام، الحديث: 5427

4- سنن الترمذي، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب: من قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر؟، الحديث: 2910

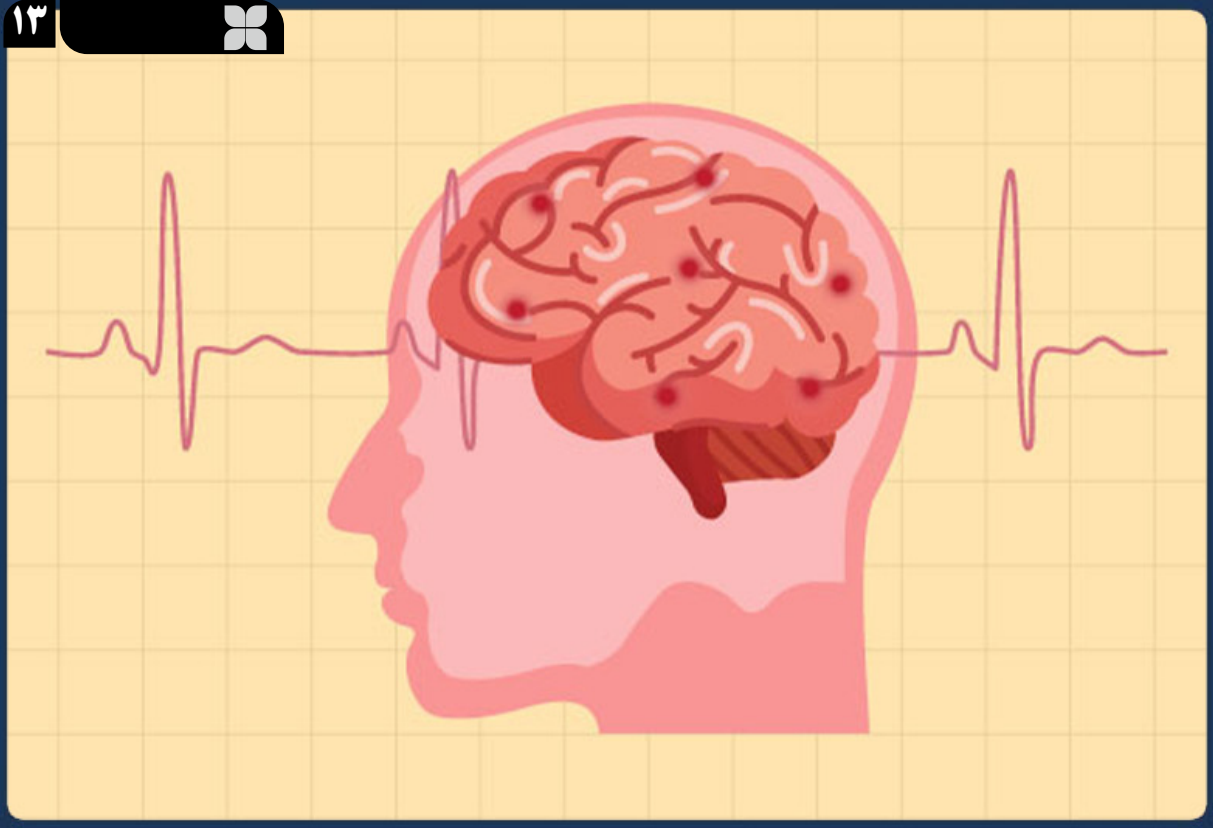

أولو الألباب نحن أم أولو القشور؟

قاسم حسيني

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

مما يعجبني كثيرا أنّ الكبار من العلماء وخصوصا شيخنا شيخ الإسلام عبد الحميد حفظه الله يستدلون في مواقف مختلفة -بين الصعب والسهل- بآيات وأحاديث تظنها بعد استشهادهم نزلت الآن، وسمعتها لأول مرة، والحقيقة أننا تلوناها مرارا ونعرف معانيها وإعرابها والتحليل اللغوي لمفرداتها، ولكننا لم نستنِر بنورها عندما أحاطت بنا الهموم المظلمة، ولم نفطن لمرادها.

ولمّا تكرر مثل هذا الحادث في حياتي وشاهدت من الأساتذة الفحول هذا الفهم الموافق لمقتضى الحال أيقنت أنّ العلم علمان: لب وقشر. مثلي يلعب بالقشور ومثلهم أولو الألباب. فأردت البحث عن أولي الألباب في القرآن لأكتب شيئا يسيرا عسى أن ينفع الله به نفسي أولا وغيري ثانيا.

أخذت جوالي وبحثت عن كلمة «أولو الألباب» في تطبيق قرآني لي، فإذا بعدة آيات يحصر التذكر فيهم -أولي الألباب-، فأخذني ذهول وسرور. ذهول لأني أحفظ القرآن سنين

ولكني في غفلة عن هذا المعنى، وسرور لأني وجدت ضالتي.

إليكم بعض هذه الآيات:

«يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ، وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ».(البقرة:269)

«هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ».(آل عمران:7)

« أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ».(الرعد:19)

كما يشاهد القارئ الكريم في الآيتين الأوليين أولو الألباب مستثنى مفرغ، وفي الثالثة دخل على الجملة «إنما» وكلا الأسلوبين يفيدان الحصر.

أولو الألباب:

أولو في المعنى جمع ذو بمعنى صاحب. وألباب جمع لب. لب الرجل عقله، ولب الجوز واللوز ما يؤكل من داخله، ولب الشيء ولبابه خالصه. هؤلاء سُمّوا أولي الألباب لأنهم عقلاء؛ ولأنهم وصلوا إلى لب العلوم وذاقوا حلاوتها. هذا الذي شغل فكري كثيرا أن كبار العلماء يتحدثون عن حلاوة العلوم ولذاتها ولا أعرف كلامهم. فوجدت مثالا لي ولهم يوضح الفرق بيننا.

صبي يرى والده وأمامه بعض اللوز يأكله باشتهاء بالغ فيطمع الطفل فيه وهو لا يدري أن الأب يكسره ويلقي القشور، فيهوي إليه والأب يأخذ بيده ويجعل لبّا في فمه. الطفل المسكين يزداد طمعا بعد الأكل وما وجد من لذة، فيختطف حبة لوز ويجعله في فيه فإذا هي كالحجر لا حلاوة فيها ولا لذة، فيتحير المسكين لا يدري ماذا يفعل؟! بعد سنين يعرف الكسر ولا يقدر عليه، ثم بعد سنين يقدر عليه ويستفيد أحيانا ويغفل أحيانا ويتكاسل أخرى. هذه مراحل حياتنا في التزكية. منا من لا يعقل القشر من اللب، ومن لا يعرف الوصول إليه، ومن لا يقدر على الوصول، ومن يتكاسل، ومن غشيته رحمة الله فحلت حياته دربحلاوة التدبر في الآيات والأحاديث.

كيف نكون من أولي الألباب؟

بعد بحث يسير خلال الآيات وجدت بزعمي بعض الخصال تجعل صاحبها من أولي الألباب بحول الله وقوته:

1- الاستماع إلى الأقوال واتباع أحسنها:

«الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ».(الزمر:18)

2- وفاءك بعهود الخالق وعهود المخلوق:

«أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ».(الرعد:19،20)

3- صلة ما أمر الله بوصله، وأن تجعل خشية الله وذكر الحساب نصب عينيك.

«وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ».(الرعد:21)

4- الصبر على المكروهات ابتغاء لوجه الله وإقامة الصلاة وأن تنفق في مرضاته سبحانه وتعالى في السر والعلانية، وردّ سيئة الآخرين بالحسنة:

«وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ».(الرعد:22)

5. ذكرك ربك في كل حال ولحظة والتفكر في خلق السماوات والأرض:

«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَه قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».(آل عمران:191)

كما يشاهد القارئ الكريم في هذه الآيات، إن الذي يريد الوصول إلى لب العلوم الشريعة فالفلاح ينبغي له أن يتقي الرذائل ويتحلى بالفضائل بقدر المستطاع. وإلى هذا أشار الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

فإن العلم نور من إلهي...ونور الله لا يعطىٰ لعاصي

مراده هو لب العلم الذي ينجي صاحبه، وإلا فظاهر الكتب يتعلمه الكفار فضلا عن العاصي.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلني وإياكم من أولي الألباب.

تفسير عشر آيات من بداية سورة الأنبياء معرّب من تفسير معارف القرآن

التعريب: عبد المجيد خدادادیان

خلاصة التفسير

لقد اقترب وآنَ لأولئك (المنكرين) وقت حسابهم، (والقيامة تقترب منهم فترة بعد فترة) ولكنهم (ما زالوا) في غفلة معرضين (عن التأكد منها والتأهب لأجلها، وقد تفاقم أمرهم وبلغت غفلتهم مبلغًا) لا تجديهم معها المواعظ التي تأتيهم من الله (ملائمة لشؤونهم، وأصبحوا بدل أن ينتبهوا بها من رقدتهم) يسمعونها لاهين ساخرين (منها) و(بما هم فيه من الغفلة والعناد) لن تصغى أفئدتهم ولن تميل (إلى هذا الجانب)، وهؤلاء الظالمون (الكفرة) يتسارّون (لا خوفًا من المسلمين، فإن مشركي مكة لم يكونوا آنذاك في قلة وضعف، بل ليتمّ لهم ما يريدون من المكائد والمؤامرات ضد الإسلام وأهله وليجعلوه أثرًا بعد عين) فيهمس بعضهم إلى بعض بأن محمد (-صلى الله عليه وسلم-) لا يعدو كونه بشرًا (عاديًا) مثلكم، (وليس نبيًّا، فلا تظنوا أن كلامه الأخاذ البديع الفاتن الذي يقرع به أسماعكم حينًا بعد حين كلام معجز فتقتنعوا بهذا الإعجاز -الذي تتوهمونه- بأنه نبي. كلا! إن كلامه في الحقيقة سحر)، ثم (على الرغم من ذلك) تنساقون (إليه) لاستماع السحر وأنتم عالمون (بذلك متأكدون منه) البتة؟!

(فأُمر) النبي -صلى الله عليه وسلم- (بأن يدحض مزاعمهم فـ) قال (في الردّ عليهم قيامًا بما أمر به): ربي يعلم كل قول في السماء وفي الأرض، (خفيًّا كان أو ظاهرًا) علمًا باتًّا وهو السميع العليم، (فيعلم ما تتهامسون به من الكفر ولا شك في أنه سيأخذكم به! ثم لم يقفوا في هذا الحد ولم يكتفوا باعتبار القرآن سحرًا) بل أضافوا قائلين: إن هذا (القرآن) أخلاط أحلام وأوهام (ليست في الحقيقة لها روعة وجاذبية، بل قالوا أشد من ذلك) بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- اختلق ذلك (من عنده، والإنسان معذور غير مختار وغير متعمّد في أحلامه وخيالاته إلى حد وقد يلتبس عليه [المراد أنهم قالوا في أول الأمر: إن ما يقوله محمد أضغاث أحلام، والإنسان معذور فيما يرى في المنام وغير متعمد، ثم قالوا: القرآن من افتراءه ويختلقه من عنده متعمّدا مختارا] ثم قالوا: ليس اختلاقه خاصا بالقرآن) بل هو شاعر (وكل ما يقوله [من القرآن وغيره] افتراءات وأوهام وخيالات. والحاصل أنه ليس بنبي، بل هو متنبٍّ ومنتحل للنبوة) فليأتنا بآية (كبيرة) كما أرسل السابقون (الذين ظهرت على أيديهم معجزات باهرات، فهنالك نقبله رسولًا ونؤمن به. وكل ما توسلوا به من أقوال كان أعذارًا فارغة يتهربون بها من قبول الحق؛ لأنهم ما آمنوا بمن مضوا من الرسل أيضًا، فقال الله ردًا على طلبهم هذا:) ما آمن أهل القرى الذين

أهلكناهم (بعد مشاهدتهم المعجزات التي طلبوها) أفهم يؤمنون (إذا ظهرت تلك المعجزات؟! فإن ظهرت ولم يؤمنوا يعذبون، فلذلك لا نظهر لهم تلك المعجزات، ومعجزة القرآن كافية لمن شرح الله صدره، ثم ردّ الله على الشبهة التي طرحوها حول النبوة بأنه لا يجوز كون النبي بشرًا وقال:) ما أرسلنا قبلك إلا رجالًا نوحي إليهم فاسألوا (يا أيها المنكرون عن هذا) أهل الكتاب إن كنتم لا تعلمون (فإنه ليس شرطًا فيما تواتر من الأخبار أن يكون الراوي مسلمًا وثقة. وأنتم تحسبونهم أولياءكم، فأقوالهم لديكم مقبولة ولها عندكم مكانة) و(شبهتهم الأخرى حول النبوة أنه يجب كون النبي ملَكًا ردّ الله عليها فقال:) ما خلقنا أبدان الرسل (السابقين) غير محتاجة إلى الطعام (وما جعلناهم ملائك) و(هؤلاء الكفار يحتفلون بموتك ويترقبون حضور أجلك لقوله تعالى: «نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ»[كذا في المعالم] فالموت للأنبياء ليس منافيًا لنبوتهم؛ لأن السابقين من الرسل لم يكونوا خالدين (في الدنيا مبرئين من الموت؛ فكذلك لا يلزم من موتك أي دليل على عدم نبوتك. الحاصل أنك كمن سبقك من الرسل وأن قومك يحذون حذو من سبقهم من الكفار في التكذيب والعناد). ثم حقّقنا ما وعدناهم (من إهلاك المكذبين بالعذاب وإنجاء الرسل والذين آمنوا معهم) فأنجيناهم ومن شئنا (وقدّرنا إنجاءه من العذاب) وأهلكنا المسرفين (المتعدّين عن حدود الطاعة بالعذاب. فليحذر الجاحدون! واعلموا يا مكذبون أنه لا يستبعد أن ينزل عليكم عذاب في الدنيا أو في الآخرة بسبب تكذيبكم؛ لأنّا) قد أنزلنا إليكم كتابا فيه (ما يكفيكم) من التذكير والموعظة، أفلا تعقلون (ولا تتدبرون بالرغم من تذكير وموعظة في مثل هذا المستوى؟! أفلا يدعوكم هذا إلى الإيمان؟!)

المعارف والمسائل

قال عبد الله بن مسعود: الكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأول، وهن تلادي -يريد من قديم ما كسب وحفظ من القرآن كالمال التّلاد-.

«اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُم» أي قد قرب زمان يحاسَب فيه الناس على أعمالهم والمراد منه الساعة، وقربها باعتبار ما مضى من عمر الدنيا، فإن هذه الأمة آخر الأمم. وإن كان المراد من الحساب المحاسبة العامة فتشمل حساب القبر الذي يقام بعد موت كل شخص على الفور، فالموت بالنسبة لكل إنسان قيامته: «من مات فقد قامت قيامته».

فبهذا الاعتبار يكون قرب الحساب واضحا جدا لدى الجميع؛ لأن موت كل امرئ مهما بلغ من العمر ليس ببعيد عنه لا سيما إذا كانت نهاية العمر مكتومة مجهولة والموت يهدّد نفوس البشر في كل يوم وفي كل لحظة.

الهدف من هذه الآية إنذار الغافلين الساهين وتخاطب كل مؤمن وكافر ألهتهم شهواتهم وطول الأمل، ونسوا يوم الحساب؛ فإن الغفلة والإهمال أم المفاسد والذنوب.

«مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ»

إطناب أكثر وتقريع الغافلين عن عذاب القبر والدار الآخرة، المعرضين عن الاستعداد لها، الذين كلما نزل وحي جديد من القرآن وتلي عليهم استمعوه وهم يلعبون ويسخرون مما يتلى عليهم، قلوبهم غافلة عن الله والآخرة. ولعل المراد منها أنهم لما تنزل آيات من القرآن غارقون في غفلاتهم وسهواتهم منقطعون إلى شؤونهم فلا يعيرونها أي اهتمام، ويجوز أن يكون المراد أنهم يسلكون مع القرآن سلوك العابثين الساخرين.

«أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ»

أي كانوا يتسارون: هذا الذي يزعم أنه نبي بشر مثلنا، وليس بملَك حتى نذعن لما يقول، ثم لما تليت عليهم الآيات واستحال عليهم إنكار حلاوتها وبلاغتها وتأثيرها في القلوب قذفوه بأنه سحر ليصرفوا وجوه الناس عنه، ثم قالوا للناس: إن الورود عليه لا يُعقَل بعدما عرفتم أن ما يتلوه عليكم محض سحر.

ولعل سبب إخفاءهم حديثَهم كان حرصهم على أن لا يطلع المسلمون على مكائدهم السخيفة ولا تفتضح أسرارهم.

«بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ»

أضغاث أحلام تقال للمنامات التي توجد فيها أوهام نفسية أو إيهامات شيطانية فتفسَّر بأخلاط أحلام، أي إنهم سمّوا القرآن أولا بالسحر ثم تقدّم بهم الأمر إلى أن عبروا عنه بمنامات مختلطة لا روية لها، ثم أسرفوا وقالوا: كل هذا افتراءات واختلاقات نسبت إلى الله، ثم قالوا: إن محمدا شاعر ترى في كلامه أمارات تخيل الشعراء.

«فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ»

أي: إن كان محمد رسولًا كما يزعم فليأتنا بالآية التي نطلبها منه! فقال جل وعلا ردًّا عليهم: قد جُرّب هذا فيمن سبقكم من القرون، فإنهم كلما ظهرت لهم المعجزة التي طلبوها على أيدي رسل الله لم يؤمنوا بها وسنة الله التي لن تجد لها تحويلًا أن كل قوم فعلوا هذا عذّبهم الله في الدنيا وطوى صفحتهم. وكان من تكريم الله لأمة

رسـول الله -صلـى الله عليـه وسـلم- أن يرفـع عنهـم العقـاب العـام وأن لا يدمـدم عليهـم العـذاب، فـكان تحقيـق مـا طلبـوا خلافـا للمصلحـة التـي قدّرهـا الله.
ثـم في قولـه: « أَفَهُـمْ يُؤْمِنُـونَ» أي بعـد مشـاهدة الآيـة التـي يطلبونهـا، وتشـير الآيـة إلـى أن إيمانهـم لـم يكـن متوقَّعـا، فتبعًـا لـم يظهـر مـا طلبـوا مـن المعجـزات.

«فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»
المـراد بـ«أهـل الذكـر» علمـاء أهـل الكتـاب مـن التـوراة والإنجيـل الذيـن آمنـوا بـه -صلـى الله عليـه وسـلم- وفيهـا خطـاب للكفـار: إن كنتـم جاهليـن عـن أحـوال الأنبيـاء السـابقين بشـرًا كانـوا أم ملائـك فاسـألوا علمـاء أهـل الكتـاب وداوُوا عِيّكـم بمـا عندهـم مـن العلـم؛ فإنهـم مُجمِعـون على أن الأنبيـاء جميعـا كانـوا مـن جنـس البشـر. وليـس بعيـدًا أن يُـراد بـ«أهـل الذكر» أهـلُ الكتـاب مطلقًـا (أي عامـة اليهـود والنصـارى) لأنـه كان لديهـم جميعًـا علـم بهـذه المسـألة، وهـذا هـو الـرأي المختـار في التفسـير الملخـص المشـروح هنـاك.
مسـألة: ذكـر في تفسـير القرطبـي أن الجاهـل بأحـكام الشـريعة يجـب عليـه تقليـد العالـم والتلقـي منـه.

القرآن الكريم مفخرة وشرف للعرب

«كِتَابًـا فِيـهِ ذِكْرُكُـمْ» المـراد بالكتـاب هـو القـرآن وبالذكـر الشـرف والفضيلـة وانتشـار الصيـت، فـإن القـرآن أُنـزل بلغتكـم العربيـة، وبذلـك يكـون مفخـرة وشـرفًا باقيًـا سـرمديّا لكـم، وعليكـم تقديـره وتعظيمـه، وقـد شـاهد العالـم أن الله فتـح للعـرب ومنحهـم سـلطانا ببركـة القـرآن، وانتشـر صيتهـم في أرجـاء المعمـورة، وصـارت مفاخرهـم تتناقلهـا الألسـن، وكل ذلـك لـم يكن بسـبب اللغـة أو ميـزات إقليميـة أو الجغرافيـة البشـرية، بـل كل ذلـك ببركـة القـرآن، وكان يُحتمـل لـولا القـرآن أن لا يوجـد أحـد يذكـر مـن العـرب شـيئا.

اللغات والاصطلاحات

للطالب: عرفان طاهرنيا

اللغات والاصطلاحات:

المقانق أو السُجُق: سوسيس
اللحم المفروم: گوشت چرخ‌كرده
تبَل ــُ وتبَّل الطعام: جعل فيه التوابل
البهارات: التوابل:
وَذِيمَة ج: وذائم: القلادة
النكهة: الرائحة
نهَش ــَ اللحمَ: تناوله بفمه وقطعها بأسنانه
نمِلَت رجله: خدرت واسترخت كأن النمل يسري بداخلها: خواب رفتن اندام
البُوصَلة
آلـة مكوّنـة أساسـا مـن عقـرب مُمغنَـط يتمحـوَر حـول مـدار يَسـمَح اتجاهُـه بمعرفـة ناحيـة الشـمال. والعـرب أول مـن اسـتعملها بعـد الصينيـن، وانتقـل اسـتعماله بعـد ذلـك إلـى أوروبـا.
ممغنَط: مغناطيسي (يحتوي على خاصية المغناطيس)
تمحَور: دَارَ.

بعض الأمثال الشعبية:

العومة مأكولة ومذمومة:
العومـة هـي أسـماك السـردين الصغيـرة، فالبعـض يـأكل العومـة على صغرهـا، وينتقدهـا مظهـرًا عيوبهـا، وينتقـد المثـلُ مـن ينـال فائـدة الشـيء ويعيبـه.
(نمک خوردن و نمک دان شکستن، دستی به کاسه و مشتی به پیشانی)
إن أطاعك الزمن وإلا أطعه:
(اگر زمانه با تو نساخت تو با زمانه بساز)
من لم يعرف الصقر يشويه:
(قدر زر زرگر شناسد قدر گوهر گوهری)
إذا احلولى صديقك لا تأكل كله!
(در دیزی بازه حیای گربه کجا رفته)
عتيق الصوف ولا جديد الإبريسم:
يقال هذا المثل في مدح الأشياء القديمة
مد رجلك على قدر بساطك:
(پایت را اندازه گلیمت دراز کن)
إذا طاح الجمل كثرت سكاكينه:
(زبان سرخ سر سبز را به باد می‌دهد)
أقول له: ثور! يقول: احلبوه:
(میگم نره میگه بدوش)

التزكية والتربية الإسلامية ضرورة العصر الراهن

إبراهيم يوسف بور

أحمد الله حمد الحامدين وأشكره شكر الشاكرين وهو خلّاق ذو القوة المتين، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسّلام على مبعوث إله العالمين، الذي أرسل مربّيا ومعلما للإنسانية بأسرها، وعلى أصحابه أجمعين، الذين بذلوا الغالي والنفيس لنشر وصيانة الدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الحديث والكتابة عن الإنسان ومقصد حياته ليس بجديد وغير واضح، بل جاء به الكتب السماوية وخاصة القرآن الكريم، وما أثر عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- حول هذا الموضوع، ومع أنّ الإنسان بصير بما أراد الله -تعالى- من خلقه، ولكن الشيطان وأعوانه والهوى أنسوه نفسَه وأبعدوه عن هدف خلقه، فغفل وتاه وضلّ السبيل.

نعم! الإنسان خُلق ليعرف ربّه ويرتدي لباس الكرامة والشرف ويسعد في الدنيا والآخرة ويفوز بالرَوح والرضوان، ولكن مع الأسف الأسيف في هذا العصر فقد وقع البون الشاسع بين الإنسان وبين ما خُلق لأجله. ابتعد عن طريق السّعادة والفلاح وسار إلى التهلكة والدمار.

من جانب آخر هجم ودخل النت وغيره من الإمكانيات الجديدة في حياة الإنسان وأخذ منه الوقت الكثير وقوة التفكير الصحيح الجادّ وفي خضم شؤون الحياة المعاصرة، وأنواع المشاكل وكثرة متطلباتها، فقد نسي أو يتناسى التزكية والتربية الإسلامية، لأجل ذلك يتكاسل في الأعمال الصالحة، ويتغافل عن الباقيات الصالحات، ويميل إلى الدنيا الفانية وزخارفها الزائلة. ويمشي الإنسان خلاف فطرته السليمة وأتبع نفسه هواها والرذائل الأخلاقية وتجنّب عن القيّم الخلقيّة والإنسانية، وأهمل جانب التربية والتزكية، لأجل ذلك أنا بهذا الصّدد أن استعرض في هذا المقال ميزة التزكية والتربية الإسلامية في حياة الإنسان من الجوانب المختلفة.

أوّلا: أذكر معنى التزكية من حيث اللغة والاصطلاح.

معنى التزكية لغة واصطلاحا

التزكية لغة: الطهارة والنماء والمدح. وزَكَّى نفسَه تَزْكِيةً مدَحها وفي حديث زينبَ كان اسمُها بَرَّةَ فغَيَّره وقال: تُزَكِّي نفسَها. وزَكَّى الرجل نفسَه: إذا وصفها وأثنى عليها.(1) والمراد بها من حيث الاصطلاح: إصلاح النفوس وتطهيرها، عن

طريق العلم النافع والعمل الصالح، وفعل المأمورات وترك المحظورات. والتزكية تعني تطهير النفس من الأدران والنقائص، وتعني أيضا تنمية الخير فيها وزيادته، وحقيقة التزكية هي: الاستجابة الكاملة لأمر الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- والتخلص من اتباع الشيطان وهوى النفس، وكلما تخلص العبد من رق الشيطان والنفس كان أزكى نفسا وأنقى دينا وأطوع لربه.(2) وعرّف العلامة أبوالحسن الندوي -رحمه الله- التزكية من حيث الاصطلاح: «العلم الذي يتكفل بتزكية النفوس وتهذيبها وتحليتها بالفضائل الشرعية وتخليتها عن الرذائل النفسية والخلقية، ويدعو إلى كمال الإيمان والحصول على درجة الإحسان، والتخلّق بالأخلاق النبوية، واتّباع الرسول -صلى الله عليه وسلم- في صفاته الباطنية، وكيفياته الإيمانية. كان الأجدر بنا وبالمسلمين أن يسمّوه «التزكية» أو «الإحسان» أو «فقه الباطن»، فالتزكية والإحسان وفقه الباطن حقائق شرعية علمية، ومفاهيم دينية ثابتة من الكتاب والسنة. (3)

أهمية التزكية في الإسلام

مما يدلّ على أهمية هذا الموضوع أن الله -تعالى- أقسم متوالية على أن صلاح العبد وفلاحه مرتبط بتزكية نفسه، فقال سبحانه: «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (10). (الشمس)

وقال سبحانه: «قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (15). (الأعلى).

جعل الله عزّ وجلّ تزكية النفس سبب الفوز والفلاح في الآخرة ونيل الدرجات العلى في الجنة، كما قال تعالى: 'وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى (76).(طه).

أي طهّر نفسه من الدنس والخبث والشرك، وعبد الله وحده لا شريك له واتبع المرسلين فيما جاءوا به من خبر وطلب. (4)

قد اهتمّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- بتزكية أصحابه -رضي الله عنهم- في الحضر والسفر، وقام -صلى الله عليه وسلم- بأعباءها خير قيام، وربّى جيلا ربّانيّا وصاروا هداة مهتدين، دعاة ناصحين، غزاة فاتحين وحماة واثقين يعتزّ التاريخ بهم، كان يعلّم الأمة ويرشدهم إلى الخير والصلاح في جميع مراحل حياته -صلى الله عليه وسلم- كما نشاهد ونقرأ في سيرته العطرة، وكانت بعثته -صلى الله عليه وسلم- لتزكية وتربية الأمة كما قال -تعالى- عن نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ».(الجمعة/2).

وكان من دعائه -صلى الله عليه وسلم-: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها».(5)

فقال رجل للنبي -صلى الله عليه وسلم-: وما تزكية النفس؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: «أن يعلم أن الله عزّ وجلّ معه حيث كان».(6)

أهمية التزكية في المجتمع

ظهر الفساد في الجوامع البشرية اليوم أكثر من أي وقت، والغرب يحمل راية الفساد والمجون في العالم ضلّ وأضلّ الإنسانية وأوقع البشرية في مستنقع الدعارة وسعى في نشر المجلات الماجنة والأفلام الخليعة والكتب الفاحشة والقصص الغرامية وغير ذلك من هذه الوسائل غير المشروعة في طريق الانحلال والإباحية وجمع المال، ولا يعود ذلك على المجتمع إلا بالخسارة والضرر وإزالة القيّم الخلقيّة والإنسانية، ويعيش المجتمع أسير الاستغلال وعبد الشهوة واللهو، لأجل ذلك سارت الجوامع البشرية إلى فساد في العقيدة والفكر والأخلاق والسياسة، ووقعت على وشك الانهيار والهلاك. ابتعدت الإنسانية من التربية الإسلامية والتزكية، وجعلوها في زاوية حياتهم، ولا يلتفتون إليها حق الالتفات. ومصدر جميع المعضلات الاجتماعية من الجرائم الأخلاقية، والأعمال الشنيعة، ورذائل الأعمال عدم وجود التزكية في رحاب الأسرة وأوساط الناس والبيئات الاجتماعية، ولأجلها ابتلي الإنسان بنفاق في المعاشرات والمعاملات وأمورالسياسة. نرى أصحاب المناصب والحكومات يلعبون بالبشرية لعب العابثين والمستغلّين. ولا ينتج تفكيرهم وعقد مؤتمراتهم إلا خسارة جسيمة فادحة على عاتق الشعب. كل ذلك يرجع إلى ضعف في التربية والتزكية، وقلة رجالها في هذا العصر.

أحسن بما قاله العلامة أبو الحسن الندوي -رحمه الله- في فضل أهل التزكية والتربية في صيانة المجتمع الإسلامي من الانهيار الخلقي والروحي: «فلا شك أنه لولا هولاء -أصحاب النفوس المزكّاة، الذين وصوا إلى درجة الإحسان وفقه الباطن- لانهار المجتمع الإسلامي إيمانا وروحانية، وابتلعت موجة المادية الطاغية العاتية البقية الباقية من إيمان الأمة وتماسكها، وضعفت صلة القلوب بالله، والحياة بالروح، والمجتمع بالأخلاق، وفقد الإخلاص والاحتساب، وانتشرت الأمراض الباطنية، واعتلّت القلوب والنفوس، وفقد الطبيب، وتكالب الناس على حطام الدنيا، وتنافس أهل العلم في الجاه والمال والمناصب، وغلب عليهم الطمع والطموح، وتعطلّت شعبة من أهم شعب النبوّة ونيابتها، وهي: تزكية النفوس، والدعوة إلى الإحسان، وفقه الباطن.(7)

أسباب تزكية النفس: ولأجل ذلك علينا أن نهتمّ بالموارد التالية

لتزكيـة النفـس:
1- الصحبـة والصلـة مـع أهـل الله تعالـى، هـم الصادقـون والوافـون بعهدوهـم مـع ربهـم. قـال عالـم عربـي: «لـولا المربّـي بعـد فضـل ربّـي لمـا عرفـت ربّـي».
2- العلـم، قـال الله تعالـى: «إِنَّمَـا يَخْشَـى اللَّهَ مِـنْ عبـاده الْعُلَمَـاءُ إِن اللَّهَ عَزِيـزٌ غَفُورٌ».(فاطـر28). وقـال عمـر -رضـي الله عنـه-: «إن الرجـل ليخـرج مـن منزلـه وعليـه مـن الذنـوب مثـل جبـال تهامـة، فـإذا سـمع العلـم خـاف ورجـع وتـاب فانصـرف إلـى منزلـه وليـس عليـه ذنـب. فـلا تفارقـوا مجالـس العلمـاء!!».
3- الدعـاء كان النبـي -صلـى الله عليـه وسـلم- يقـول: «اللهـم آت نفسـي تقواهـا وزكهـا أنـت خيـر مـن زكاهـا».(8)
4- تـلاوة القـرآن بتدبّـر وتفكر وخشـوع؛ فإنـه يزكّـي النفـس ويطهّرهـا مـن كل دنـس.
5- الإكثـار مـن النوافـل والطاعـات لا سـيما قيـام الليـل.
6- تذكـر المـوت والتفكـر في المـآل.
7- قـراءة سـير الصالحيـن والتأمـل في أحـوال النسـاك والزهـاد.
8- محاسبة النفس ومراقبتها.
9- البذل والإنفاق في سبيل الله.
10- التوبة والإكثار من ذكر الله.
11- الزهد في الدنيا والتقلل منها. (9)

أهمية التزكية في هذا العصر

وتزكيـة النفـس وتطهيرهـا مـن الأدنـاس والأخـلاق الرذيلـة يحتـاج إلـى جهـد ومثابـرة مـن المسـلم، والصحبـة والجلـوس مـع رجالها، ولا يؤتيهـا الله إلا لمـن بـذل وسـعه في سـبيل الحصـول عليهـا قـال تعالـى: «وَالَّذِيـنَ جَاهَـدُوا فِينَـا سُـبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَـعَ الْمُحْسِـنِينَ». (العنكبـوت69). والله هـو الـذي يزكّـي النفـس حقيقـة، والعبـد آخـذ بأسـباب التزكيـة كمـا أسـلفت آنفـا، فمـن جاهـد نفسـه فقـد زكاهـا بهـذا الإعتبـار.
إنّ ظاهـرة الميوعـة والانحـلال المتفشـية في المجتمعـات الإسـلامية في كل مـكان وكل لحظـة ولمحـة مـن صنائـع اليهـود والغـرب وتخطيطهـم ليثبتـوا سـطانهم على البـلاد الإسـلامية، ويصرفـوا أبنـاء الإسـلام عـن العقيـدة الإسـلامية النقيّـة الحيّـة. نعـم! ذاقـت البشـرية في هـذا العصـر طعـم الويـلات والكربـات أمـرّ مـن أي وقـت، والتحمـت بأيامهـا النكبـات، وأعـدّت فيهـا موائـد الفسـق والفجـور، ومُـدّت مترامية الأطـراف لأهلهـا أكثـر مـن أي زمـن، ولا يجـد المؤمـن بـدّا إلا أن يحبـس نفسـه في بيتـه ولا يخـرج منهـا إلا للضـرورة.
مـن البديهيـات التـي لا تقبـل الجـدل، أن لأهـل التزكيـة والتربيـة تأثيـرًا بالغًـا في إصـلاح المجتمـع ودفـع التيّـارات الجارفـة في المجـالات الأخلاقيـة، النفسـية، الروحيـة والسياسـية، كمـا نـرى اليـوم هـذا الفـراغ الهائـل في المجتمـع ويجـب ملؤهـا على الأمـة الإسـلامية. والأمـة اليـوم بأمـس حاجـة إلـى أمثـال هـولاء العباقـرة والأبطـال. يحسـن لـي أن أذكـر كلمـة عـن المتتبـع والعـارف بتاريـخ الإصـلاح والتجديـد الشـيخ أبـي الحسـن النـدوي -رحمـه الله- حـول سـرّ نجـاح الإمـام عبدالقـادر الكيلانـي -رحمـه الله- في مهمتـه الإصلاحيـة: «وقـد اسـتطاع الشـيخ عبدالقـادر أن يسـتمر في دعوتـه وجهـاده أكثـر مـن نصـف قـرن، في بيئـة اشـتد فيهـا الاسـتبداد، وكثـرت فيهـا الوسـاس، وشـاعت فيهـا الوشـايات والسّـعايات، وأخفقـت فيهـا الدعـوات السياسـية، وحـورب فيهـا المعارضـون للحكومـة بقسـاوة وشـدة، ومـا كان ذلـك إلا لإخلاصـه الـذي لا يتطـرّق إليـه الشـك، ولا ترتقـي إليـه شـبهة، وزهـده في كل مـا يحرصـون عليـه ويضنّـون بـه، وبذلـه النصيحـة والشـفقة لـكل مـن يديـن بالإسـلام، بـل يتحلّـى بالإنسـانية، وانقطاعـه للدعـوة إلـى الله، والإرشـاد إلـى معالـم الحـق.
وقـد كان لخلفائـه وتلاميـذه، ولمـن سـار سـيرتهم في الدعـوة، وتهذيـب النفـوس مـن أعـلام الدعـوة وأئمـة التربيـة في القـرون التـي تلتـه فضـل كبيـر في المحافظـة على روح الإسـلام، وشـعلة الإيمـان، وحماسـة الدعـوة والجهـاد، وقـوة التمـرّد على الشـهوات والسـلطات، ولولاهـم لابتلعـت الماديـة -التـي كانـت تسـير في ركاب الحكومـات والمدنيـات- هـذه الأمـة، وانطفـأت شـرارة الحيـاة والحـب في صـدور أفرادهـا، وقـد كان لهـولاء فضـل كبيـر لنشـر الإسـلام في الأمصـار البعيـدة التـي لـم تغزهـا جيـوش المسـلمين، أو لـم تسـتطع إخضاعهـا للحكـم الإسـلامي، وانتشـر بهـم الإسـلام في أفريقيـة السـوداء، وفي أندونيسـيا وجـزر المحيـط الهنـدي، وفي الصيـن، وفي الهنـد. (10)
يلـزم أن نرجـع إلـى منهـج الإسـلام في بنـاء المجتمـع الفاضـل، ونرجـع إلـى الديـن الحـق، والإسـلام الصحيـح ونهتـمّ بتربيـة أفـراد المجتمـع رجـالا ونسـاء وأطفـالا وشـبّانا، ونحـرص على أخـلاق الجيـل مـن أن تدنـس، وصحـة الأمـة مـن أن تنتكـس، ورجولـة الشـباب مـن أن تنهـار. ونغـرس في أبنائنـا حـبّ الإيمـان والصـدق والإخـلاص والتـوكّل والجهـاد والعفـاف حتـى تسـتقرّ أحوالهـم النفسـيّة والروحيـة والعقليـة. علينـا أن نربّـي الجيـل الناشـئ تربيـة إسـلامية كـي يأمنـوا مـن تيـار الشـهوات والنـزوات الخلابـة وتزويـر الأعـداء الألـداء في البيئـات المختلفـة؛ لأن طوفـان فسـاد الماديـة وتلبيـس الدجاليـن في هـذه الآونـة الأخيـرة حمـل مـن الرذايـل الأخلاقيـة وفسـاد العقائديـة في المجتمعـات مـا لا حـد لهـا ولا حصـر.
نرجـو مـن الله تعالـى أن ينشـئ جيـلًا ربّانيًـا يعيـد المجـد والعـزّ للإسـلام والمسـلمين، يفتخـرون بماضيهـم المشـرق ومـا ذلـك على الله بعزيـز.

.....

المراجع

1- لسان العرب بتصرّف
2- معالـم في السـلوك وتزكيـة النفـوس، لعبـد العزيـز بـن محمـد العبـد اللطيـف، موقـع صيـد الفوائـد، بتصـرّف.
3- ربانيـة لا رهبانيـة، للعلامـة أبـي الحسـن النـدوي ، ص17
4- تفسير ابن كثير 3/156
5- أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء 2722
6- البيهقي في السنن، 4/95
7- ربانية لا رهبانية، أبوالحسن الندوي، ص22
8- أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء2722
9- بتصرف من كتاب «كيف ربى النبي -صلى الله

رحلة سعيدة إلى زاهدان ديار الأحبة

نعيم فاضلي

لقد أجمع الدعاة في مركز الدعوة والتبليغ أمرهم أن يزور جماعة من علماء تايباد دار العلوم المكي بزاهدان لا سيما شيخ الإسلام مولانا عبد الحميد -حفظه الله- وطلبوا من عميد جامعتنا أن يصاحب هذه الجماعة وفد من أساتذة أنوار العلوم، وأنا منذ أيام كنت أريد أن أسافر إلى زاهدان، ولكن لم توافق الأسباب أن أرتحل، وذلك أحزنني كثيرا وكنت أتحيّن الفرص وأعد الدقائق لهذا السفر، إذ أخبر صديقي عن هذا السفر وطلب مني أن أصاحبه.

جاشت نفسي وترنّحت عواطفي شوقا من هذه المطالبة، ما دريت بأي كلمة أجيبه؟! اسقبلت بلهفة واشتياق، وما فكرت هل يمكنني هذا السفر أم لا؟ ليس من الخير أن نستشير عقولنا دائما. يجب أن ننحّي عقولنا جانبا في بعض الأمور فإن العقل يصوّر لنا الخوف.

الشوق والفرح يُحيطان فكري ولا يأذنان له أن يحلّل هذه القضية تحليلا مادياً جافاً، لأن الحب مشكلة العقل التي لا تحلّ ولكنه حقيقة القلب الكبرى، وأنا أعتقد أنّ الإنسانية وقعت في ورطة العقل والمشاهدة والماديّة، وأرادت أن تحلل كل أسرار الكائنات بمقاييس العقل ولا تسطيع أن تتخلص منه إلا بطرده في بعض الأمور. كم من أشخاص سقطوا في حفرة العقل والمادة وما استطاعوا أن يخرجوا منها بل عاشوا محرومين من لذة الروح ومحبوسين من التحليق في الأجواء المعنوية ولقد تحتاج هذه الأمة للحب أكثر مما تحتاج إلى الدلائل العقلية والفلسفية.

نعم! لقد لبيت دعوة صديقي، واستعددت لهذا السفر، ولكن العقل لا يدعني بل يضع أمامي العراقيل والصعاب والمشاكل، وتفجّر بالدلائل والبراهين، وصمّمت أن أترك الفكر، وشمرت عن ساق الجد، وبدأت سفري مع جماعة من أصدقائي وأساتذتي. بعد أن كادت تغرب الشمس وراء الأفق البعيد وتمشي الظلمة إلى الكون، كانت هذه الليلة عندي من الليالي الغريبة. قطعنا الطريق بانشراح صدر وطمأنية. تذكرت في أثناء السفر شعر الإمام الشافعي الذي يقول فيه:

سافر تجد عوضا عمّن تفارقه... فانصب فإنّ لذيذ العيش في النصب

قلت في نفسي من أين جاء هذا السكون؟! من أين جاءت هذه الطمأنينة؟! لقد افتقدتها منذ شهور! ما الذي جعل الله في الحركة والسير والهجرة؟! لا سيما إذا كانت تتبع هدفا دينيا.

ها هي التي تقيّم الصحابة ترفع شأنهم، يُعلي قدرهم، حيث فرض الله الهجرة في بداية الأمر ثم رفع فرضيتها وأبقى تأثيرها إلى الآخرة. كلما دنونا من زاهدان ازداد سرورنا وأحببنا أن نقطع الطريق كله بوثبة واحدة، ولكن يخالط فرحي واشتياقي خوف وإشفاق من جانب شرطة التفتيش، وأقول في نفسي:

ماذا نفعل إذا منعتنا الشرطة من الدخول في زاهدان؟! والتجأت إلى الأذكار والأوراد التجاء الطفل إلى حجر أمه، والحمدلله تجاوزنا من نقطة التفتيش دون أن يسألنا شخص.

وصلنا إلى زاهدان دون أن نلاقي في سفرنا شيئًا مكروهًا، وامتلأ قلبي شكرا لله الذي يزيل الغم والهمّ عنا. شاور أصدقاؤنا أن نبيت الليل في مسجد توحيد. قضينا الليل في المسجد، إذا أصبحنا ركبنا السيارة للذهاب إلى مسجد مكي. رقص قلبي في صدري حين وجدت نفسي في دار العلوم. كنت أجول فيه وأتابع أساتذتي متابعة الولد المفقود لوالديه. كأنني ما زرتهم سنين طوالا. أدير نظري فيما حولي راجيًا أن يقع بصري إلى أستاذ من أساتذتي! ما تسعني من فرط الفرح الأرض. أحس من الخفة والنشاط أنني سأطير. تجددت ذكرياتي وطار بي الخيال إلى الزمن الذي كنت أتعلم هنا. لقد حان وقت الميعاد مع شيخ الإسلام مولانا عبدالحميد -حفظه الله- وأوسعنا الخطو إلى مكتب الشيخ، وانتظرنا في قاعة الانتظار، حتى يدخل علينا الشيخ، ما مكثنا طويلا إذ طلع علينا الشيخ وجلس على كرسيه وسلم على جميعنا.

ممثل وفدنا شرع خطابته وقدّم للشيخ بعض التحيات ومدحه وفسر وبيّن هدف مجيء هذا الوفد، وتحدث حول بعض مواقف الشيخ الأخيرة والحوادث التي انصبت على الشيخ وانهالت عليه من كل صوب. سمع الشيخ هذه الخطابة بطمأنينة ووقار.

ثم بعد أن تمت خطابة أمير وفدنا بدأ الشيخ خطابته. في بداية الخطابة أشار الشيخ إلى أهمية رسالة العلماء وعظّم هذه الرسالة تعظيما هائلا. رأيت أنّ هذه الرسالة أثقلت كواهله، وأتعبت جسمه، وعكّرت صفوه، وعرّضت روحه للهلاك، كأنه خُلق لأن يعيش الناس في راحة ورخاء، خُلق لأن يجعل جسده مائدة لكل جائع، خُلق لأن يحمل أعباء الرسالة وحده. تذكرت قول الله عز وجل يخاطب الرسول: «فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا».(الكهف/6)

ثم واصل خطابته وتلا آيتين من آيات الله: «بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ».(آل عمران/125).

قد أكّد الشيخ على ملازمة التقوى في كل شؤون حياتنا وقال: يجب علينا أن نحفظ جوارحنا أن ترتكب المعاصي! لابد أن نسيطر على أفكارنا ونمسك عنانها، حتى لا نتفكر فيما لا يُرضي الله. إذا يوجد في صدورنا الوسواس نفهم أننا اتصلنا بالشيطان وأن هذا من نزغه. فعلينا أن نُبعده بذكر الله، وكذلك أكّد الشيخ على الصبر في المصائب والمشاكل التي تعتري العالِم في طريق دعوته.

أنا قلت في نفسي: هاتان قوتان عظيمتان تقويّان الشيخ، وتنجيانه من عواصف المصائب والمحن حتى لا تسيطر المشاكل قلبه، بل ترتد عنه ارتداد الموج عن جلاميد الصخور في شاطئ البحر.

لقد تتقد نار الحماسة في نفسه ولا تسطيع رياح الشك والقنوط أن تطفئها، بل حلّل هذه البلايا تحليلاً رائعاً، لا يحلله السياسيون في عصرنا، ولا يفوه به عقلاء الدنيا، تحليلا ينشأ من غمسه في عالم الملكوت، تحليلا ينشأ من ارتماسه في ذكر الله، تحليلا ينشأ من تحليقه في الأجواء الروحية وقال: الحمد لله لقد جعل الله دم الشهداء سببا لإحياء شبابنا ونحن لم نكن نستطيع أن نخرج شبابنا من الحدائق والمقاهي، قد استيقظوا من سباتهم العميق.

ثم خرجنا من عنده وذهبنا إلى دار الإفتاء لزيارة أستاذي الحنون الشيخ القاسمي -حفظه الله- وما وجدنا الأستاذ هناك، قيل : يجيء بعد خمس عشرة دقيقة، قلنا لا بد أن نستفيد من أوقاتنا ولا نترك وقتًا لم نزر فيه أستاذًا من أساتذتنا.

خرجنا من دار الإفتاء قاصدين زيارة أساتذتنا، إذ وقع بصرنا إلى أستاذي العزيز شيخ التفسير عبدالغني بدري -حفظه الله- وهو يذهب إلى مكتبه، فلحقناه ودخلنا معه إلى مكتبه بعد أن استأذنّاه.

استغرق الحوار بيننا وبين الشيخ خمس عشرة دقيقة تقريبا، وهو يتكلم حول الحوادث التي يعاني الناس في إيران، لا سيما ما يقاسي الناس في زاهدان، وتهمّه هذه الحوادث وتجعله مظطربا وقلقا، تذكرت شمائل الرسول -صلى الله عليه وسلم- حيث جاء في سيرته: «يسأل الناس عمّا في الناس، يُحسّن الحسن ويقوّيه، يقبّح

القبيح ويُوهيه»

بعد أن نحاور مع الأستاذ أخبرنا شخص أن الأستاذ القاسمي حضر في دارالإفتاء، نحن اغتنمنا الفرصة وذهبنا مسرعين إلى دار الإفتاء. وجدنا الأستاذ تحلّق الزائرون حوله، إذا دخلنا في الغرفة وقع بصر الأستاذ علينا. كنا مشتاقين أن نصافح الأستاذ ولكن تمنعنا هيبة الأستاذ أن نقترب منه، إذ قام الأستاذ وقال :كيف نصافح معكم؟ ولقد حقق الله أُمنيتي واقتربنا منه وصافحنا مع الأستاذ، ثم جلس الأستاذ وقال: لقد جئتم من مسافة بعيدة وهذا لا يعادله شيء، وذكر حديثا قُدسيا: «وجبت محبتي للمتحابِّين فيَّ والمتجالسين فيَّ والمتزاورين فيَّ والمتباذلين فيَّ». وقال الأستاذ العزيز: أنتم وجدتم ما خرجتم لأجله ولا يحتاج أن أطيل في الكلام وأتنوّع في النصيحة وأتفنّن في الخطابة، بل نيتكم تذهب بكم إلى مرادكم، قلت في نفسي: انظر إلى فنائه في الله، الذي يريد المقام والمنزلة إذا جاء وفد من مسافة بعيدة لأجله وهو يبذل قصارى جهده أن يُظهر براعته ومهارته في الخطابة والنصيحة ويزيّن كلامه بالأحاديث وكلام الفصحاء والبلغاء، ولكن الأستاذ في بداية الأمر أبى أن ينصحنا ثم وعظنا موعظة قصيرة لا تزال أثرها عالقاً بنفسي، وتعلق بها قلبي.

قال أستاذي العزيز: وسِّعوا نطاق تفكيركم، ولا تحبسوا أفكاركم في منطقة واحدة! أنتم من خراسان. علماء خراسان ملأ صيتهم العالم، والشيء من معدنه لا يُستغرب.

استرعت جملة الأستاذ انتباهي وجعلت تاريخ خراسان أمامي، وأنا أتصفح أوراق التاريخ وأرى أبطالا وعباقرة قلّ مثيلهم في التاريخ كمثل: الإمام مسلم النيسابوري، والإمام البيهقي، والإمام أبو الوفاء البوزجاني و... الذين قد سقوا شجرة العلم بنبعهم الفيّاض، وأفادوا العالم بعلمهم وعبقريتهم، ولكتاباتهم وأفكارهم واتجاهاتهم انتفاضة وثورة عظيمة في تغيير مجرى العالم إلى الهداية والرشاد.

ثم بعد أن يُفيدنا الأستاذ بخطابته القصيرة وادعناه واجتهدنا أن نزور جميع الأساتذة. والحمدالله وُفِّقنا أن نزور الأساتذة ثم أمر أمير وفدنا أن نصلي الجمعة في زاهدان. لبّينا دعوته مسرورين لأنني كنت مشتاقا أن أصلي الجمعة في هذه الأيام في زاهدان.

حقًا إنّ صلاة الجمعة في زاهدان تختلف تماما عن الأمكنة الأخرى، لأن دماء الشهداء والأطفال أيقظت شبابهم، وأشعلت فيهم نار الحماسة، وأثارت الحميّة الدينية، وألّفت القلوب المتشتتة، ووحّدت القبائل.

نعم!

لقد شهد التاريخ أن الله جعل دماء الشهداء سببا لإيقاظ الشعوب والملل، ولم يهدر قط؛ فزاهدان لا يستثني من هذا.

وبعد صلاة الجمعة ودّعنا الأساتذة ورجعنا إلى تايباد مباشرة، وفي الأخير نشكر الله حيث مهّد الطريق وسهّل الأسباب لهذا السفر.

المستكبرون ومكائدهم تحت مجهر الآيات (1)

عبد المجيد خداداديان

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

إن المستكبرين والطواغيت قد أثاروا انتباه المؤرخين والباحثين وعامة الناس وأهمّوهم على مرّ العصور، هذه الشرذمة القليلة رغم قلّتهم بالنسبة إلى سائر الناس من أهل الطبقة المتوسطة والمظلومين أحدثوا ضجة واستأثروا صفحاتٍ كثيرة من تاريخ كل أمة، صفحاتٍ يُشمّ من سطورها عفَنُ القتل والغصب والجور، وكلماتُها تصُخّ الآذان بموسيقاها البغيض، موسيقى المكر والدس والخيانة، وكل نقطة فيها تحكي عن قطرة دم أهراقته هذه الطائفة المتغطرسة عليها.

الناس في كل عصر لا سيما أهل الصحوة منهم اجتهدوا أن يعرفوا هؤلاء الجبابرة ومكائدهم من خلال تقليب أوراق التاريخ، ثم يشهّروهم للناس رجاءَ أن يكونوا جميعا سدًّا منيعا أمام هؤلاء ومقاصدهم المشؤومة بالعلم والتعاضد. فأردت أن أقوم بدوري بالإسهام في هذه القضية وأخطو نحو الغاية المنشودة خطوة.

أردت أن أتصدى لموضوع المستكبرين ومكائدهم لاستعباد الناس، فبدأت بالتفكير في آيات القرآن التي تتعلق بالموضوع.

في الجولة الأولى لم أجد إلا آيات قليلة، ولكن بعدما واصلت التفكير والبحث وقفت على آيات كثيرة جدا ولم أجد أمامي إلا أن أقسمها تحت عناوين، وأضربت عن ذكر بعضها، وعلمت أنه ليس من الممكن أن أتصدى لجميعها في مقالة واحدة. ثم استغنيت بما وجدت في القرآن عن غيره؛ فإنه قد برّد غليلي ولم يبق معه لي أرب في الاستزادة.

من الباعث للأسف حقا أن نظرتنا إلى القرآن نظرة سطحية تسبب الحرمان عن الكثير من مضامينها والتلذذ بملاذّها، والتنعم بنعيمها، والتجول في حقولها، وقد نتصدى لمعارضته.

إن أحسن تشبيه يخطر ببالي في هذه اللحظة للقرآن أنه كمحيط بلا شاطئ والناس في معاملتها مختلفون. كل يغترف منه وينتفع به حسب ما عنده من القدرات والمواهب. فالربان بشبكته الكبيرة يصطاد بضعة أطنان من السمك، والغواص يستخرج من أعماقه اللآلي، والطفل الصغير الذي لا يعرف السباحة يعانق أمواجا صغيرة تماثله في طولها ويأخذ إلى بيته أصدافا كتحف تذكارية.

هذا المحيط كما أنه لا شاطئ له كذلك لجي لا يُعرف لعمقه مدى، والناس في كل عصر أخذوا منها حسب ما عندهم من الفهم والعلم والتكنولوجيا والطلب والأدب.

فالناس في الماضي رغم أن العلوم من اللغوية والطبيعية والطب والتشريح والاجتماع وعلم النفس كانت أقل تقدما وتطورًا بالنسبة إلى اليوم كانوا بسبب الصدق وطهارة الباطن أكثر تمتعا بالقرآن، وكانت أنواره أكثر تجليا على صفحات قلوبهم، ولكنها اليوم لم تعد تلمع بنور القرآن مع أن التفاسير العلمية والبلاغية والتي تتكلم عن الإعجاز في القرآن لا يزال عددها يزداد في كل عام، فقد كان سببا للسرور وقد صار باعثا للأسف أن الإناء يترشح بما فيه.

فالبذور لو أصلحت بأرقى التكنولوجيات تحت إشراف الخبراء والأخصائيين ولكنها تضيع بلا شك في أرض خبيثة شديدة الملوحة.

أعتذر منكم على أنى قد ابتعدت عن الموضوع الرئيسي، فاعذروني فإني إذا دار الكلام عن القرآن لا أمتلك نفسي، ولا يطيعني قلمي الجموح، ويصعب علي كبح عنان الكلام، لأن إبراز ما عندي من المشاعر والانطباعات والتجارب التي تتعلق بالقرآن لعله هو حظي الوحيد مما أكتب.

فالآن أدخل في الموضوع وأتكلم في مكائد المستكبرين وحيلهم لبسط سيطرتهم على الناس واستعبادهم.

1- المكيدة الأولى: الوعود الكاذبة والتمنية بالباطل

المؤسس والرائد في هذا الفن هو إبليس الذي بدأ مسيرته بالتكبر والاستعلاء على الإنسان فأراد أن يستعبدهم ويسيطر عليهم، رغم علمه بأن العاقبة له ولأتباعه ليست محمودة.

«فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ»(طه:120)

رغم أنه أقسم لهما أنه ناصح ولكنه كان يضمر غير ما يظهر. ظهر في ثوب الناصحين ولكنه لم يفعل ذلك إلا «لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا»(أعراف:20) وبلغ به الفحش والحسد مبلغا نسب الكذب في ذلك إلى الله وقال: «مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ»

هكذا شأن كل مستكبر، يكذّب الحقائق الجلية البحتة التي لا يتطرق إليها الشك ثم يعرّف الأكاذيب التي يلهج بها لسانه كواقع مسلَّم، ويصدع بها كأن علم الأولين والآخرين عنده.

«يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا»(نساء:120)

وكذلك المستكبرون المتطفلون على مائدة أستاذهم الأكبر لم يغفلوا عن هذه المكيدة، منهم فرعون -الذي هو رمز الطاغوت- لما مسّت حاجته إلى السحرة وعدهم بأنهم إذا غلبوا على موسى الذي هو منادي الحق والمكافح عن المظلومين وتهديد لملكه سيجعلهم من المقربين، كل ذلك وهو يدعي الألوهية، فكيف عجز عن مكافحة موسى الذي يراه مهينا، وكذلك كل المستكبرين، هم متناقضون دائما.

«قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ(41)قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ(42)»(شعراء)

والدجال الكذاب الأكبر يستخدم نفس المكيدة.

عن حذيفة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال في الدجّال: «إِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا، فَنَارُهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَمَاؤُهُ نَارٌ، فَلَا تَهْلِكُوا».

فتاريخ البشر قد بدأ بتلبيس الإبليس وأكاذيبه وسينتهي بتدجيل الدجال وشعوذاته، وبين الأمدين قد ظهر وسيظهر أبالسة جنية وإنسية ودجاجلة صغيرة وكبيرة يتخذون الدجل والتمويه والسفسطة منهجًا، ويسخّرون ما عندهم من القدرات لاستعباد الناس والهيمنة عليهم فكريا وروحيا وجسميا، ويتظاهرون بأنهم يستطيعون أن يقيموا الدنيا ويقعدوها. ترّهاتُ تستهوي قلوب المغفّلين ويجعلهم كأشباح اللاعب، فلا يزالون يكررونها ويذيعونها بالوسائل الإعلامية حتى يملأوا بها عقول الناس ويجعلوهم إمّعة منقادين متطفلين لا خيار لهم.

فذكر الله لنا في القرآن وعلى لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم- الشيطانَ وفرعونَ والدجالَ، وبيّن للناس مكائدهم لينبّه الناسَ ويجعلهم على محجة بيضاء ليلها كنهارها لئلا ينخدعوا بأمثال هؤلاء المستكبرين ومكائدهم فيخسروا دنياهم وآخرتهم.

2- التمييز والعنصرية والإبادة

منّ الله على بني إسرائيل فقال: «وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ، وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ»(بقره:49)

إن فرعون قد أفرط في العنصرية والتمييز حتى قتل ألوفا من أطفال بني إسرائيل لحذَرٍ محتمل، واستحيى نساءهم للخدمة، ومن جانب آخر حابى قومه ففتح عليهم مجالات التقدم وعرصات الحكم ومناصب القوة كما يُعلم من تعبير «آلِ فِرْعَوْنَ» المذكور في الآية.

فإذا فكرنا قليلا أو درسنا التاريخ الذي ليس ببعيد عنا دراسة يسيرة أو ألقينا نظرة عابرة على العالم الذي نعيش فيه نرى أن هذا النوع من التفكير ليس بغريب أو شاذ في المستكبرين، فقد كان بعض السفاكين الذين أقاموا مجازر دامية وقاموا بإبادات جماعية -كـ«هتلر»- يعتقدون أن شعبهم هو الشعب الممتاز وأن سائر الشعوب والأمم ما خلقوا إلا ليكونوا عبيدا لهم.

ونرى اليوم في الحكومات والسلطات الكثير ممن نعرف من أعمالهم أنهم يعتقدون فضلهم على سائر الناس ويرون الرعية عبيدا لهم ويضطهدون الطبقة التي يريدون تخلفها اقتصاديا ويمارسون الإبادة ضدّهم.

قال تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ(204)وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ(205) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ(206)»بقرة

إن الله أشار أن في الناس خبثاء وشريرين يقسمون بالله على صدقهم وإخلاصهم ونصحهم وتفانيهم للناس، ولكن هذا لا يكفي لتأييدهم، فإنهم تكذبهم أعمالهم، وإنهم لا يألونكم خبالا يا أيها الناس، وإذا غابوا واختفوا عن العيون لا يدخرون جهدا في الإفساد وودوا ما عنتّم، وإن الإفساد في الأرض وفرض الضغوط الاقتصادية وإهلاك الحرث والنسل من مكائدهم، فتنبّهوا ولا تنخدعوا بكلامهم، وقد بلغت وقاحتهم مبلغا يعتزّون بما يمارسونه من جرائم ضدكم.

هذا هو منهج المستكبرين الذين لا يرجون لله وقارا، وعدم إيمانهم بالله هو العلة لخبثهم وشراستهم ووقاحتهم؛ فإن المؤمن الحقيقي يحاسب نفسه على أدنى الحقوق ولا يتجرأ أن يؤذي أحدا بكلمة أو يرزأه في ماله أو عرضه.

3- تطبيق القانون حسب الهوى أو إشراك النزعات النفسية والاتجاهات الشخصية في تنفيذ القانون

نقرأ في قصة موسى -عليه السلام- أنه لما رأى أن قبطيا من قوم فرعون يخاصم أحدا من بني إسرائيل أراد أن ينبّهه -فإن الإنبياء عليهم السلام مجبولون على النفور من الظلم والدفاع عن المظلوم، ويموج فيهم بغض الظالمين والرحمة على المستضعفين، وهذا هو السبب في أن أكثر أتباعهم كانوا من الضعفاء والمساكين، الذين كانوا يرون في الشرائع السماوية مأمناً وإنصافا- فلكمه موسى عليه السلام لكمة كانت القاضية.

فندم على فعلته التي لم يكن فيها متعمدا، ثم رأى غدا أن البني إسرائيلي في نزاع وعراك مع قبطي آخر، فوبخه وشدّد النكير عليه و«قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ» وأراد أن يُنهي الخصام ويصلح بينهما، ولكن الرجل خاف وظن أن موسى يريد أن يضربه فجبُن ولم يملك لسانه وباح بالسر، فعلم القبطي أن موسى هو قاتل أمس الذي أرسل فرعون كل جنوده للقبض عليه.

فظهر السر ووصل الخبر إلى فرعون -قاتِل الألوف من أطفال بني إسرائيل السفاك القاسي الذي نزع الأطفال من حجور أمهاتهم وذبحهم أمام أعينهن، الذي بنى ملكه على دماء الأبرياء وشيّد قصوره على ظهور رعيته الأشقياء- فما لبث أن نادى ملأه وحشدهم حوله وشاورهم في أمر القاتل، وأمر أن يحرثوا الأرض بحثا عنه. هذا الجبار الطاغية الذي لم يكن يعرف بالأمس قانونا يُظهر اليوم حرصا وإصرارا غير مألوف لتطبيق القانون، ولا غروا فإن القاتل من جنس بني إسرائيل التعساء والمقتول من جنس الأقباط الشرفاء! فكيف تجاسر العبد أن يقتل السيد؟! ألا يستحق الأشد من القتل؟!

هذه عقلية كل مستكبر، فلو قتل مئات وألوفًا من الرعية ظلما وجورا فلا حق لأحد أن يقرأ عليه الدستور ويطالبه بتحقيقه، ولكن لا قدر الله يوما أصيب أحد من ملأه فيُجَنّ جنونه، ويقلّب الدنيا ظهرًا لبطن، ولا يهدأ له بال حتى يقبض على المجرم ويطبق القانون -حسب هواه- عليه، فهنالك ترضى نفسه وتطمئن ويتنفس الصعداء؛ لأن القانون لا بد أن يطبق، وهو المتولي والمسؤول عن تطبيقه، ولكن كما يهواه لا كما يوجبه العقل والشرع والنصفة.

فالقانون في دولة المستكبرين ليس إلا اسمه ليجعلوه حجة وشعارا ويصروخوا في المحافل الدولية: إن بلادنا يحكم عليها الدستور والناس من أدناهم إلى أعلاهم سواسية بالنسبة إليه. ولكن الحقيقة أنه دمية في أيديهم يديرونها كما تهوى أنفسهم وليس اسمه إلا ليكون سترا على جناياتهم وتبريرا لزلاتهم.

4- التلبيس، الخدعة، الاستجهال

«وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ(31)قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ(32)وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ»(سبأ)

يذكر الله تخاصم أهل النار الظالمين غيرهم أو أنفسهم، وكلهم يرجع القول إلى الآخر وينسب التقصير إليه ويراه المجرمَ، فيقول المستضعَفون -الذين استضعفهم المستكبرون أي وجدوهم ضعفاء سهل الانقياد فاستغلّوا ضعفهم فأركبوهم مراكب صعبة وسخّروهم لتحقيق أهدافهم المشؤومة-: إنكم أنتم السبب في هلاكنا، فلولاكم لكنّا مؤمنين! فيقول المستكبرون: نحن لم نمنعكم من الهداية بعد إذ جاءتكم، بل دخلتم طريق الهلاك مختارين بإرادتكم، إذ لم يكن لنا عليكم سلطان! فترد الطائفة المستضعفة: بل كنتم تمكرون بنا ليل نهار وتكيدوننا وتحتالون لإغواءنا واستهواءنا وتبيّتون ما تملكون به أمرنا، وكنتم ختّالين دجّالين مغوين مُميلين، فدعوتمونا إلى أن نكفر بالله ونخرج عن طاعته فنكون عبيدا لكم ونجعلكم بإطاعتنا نظراء لله تعالى، فنطيع الخلق إطاعة ليس أهلا لها وجديرا بها إلا الخالق، ثم يخفي الجميع ندامتهم وحسرتهم على خفة عقلهم وعلى ظلمهم في تسوية المخلوق بالخالق في الاستكانة والانقياد.

في الآية تصريح بأن المستكبرين استغلوا الضعف في المستضعَفين، وما أحسن اختيار هذه الكلمة اسما وعنوانا لهذه الطائفة التي تكوّنُ معظمَ الناس، وتفصيل ذلك أن المراد بالمستضعفين «الأتباع للذين استكبروا في الدنيا واستتبعوهم في الغي والضلال»(2) وهم الرؤوس والمقدّمون(3) الذين قدّمهم الناس على أنفسهم وسلّموا إليهم أمرهم ولم يكونوا قمناءه فصاروا وبالا عليهم فضلّوا وأضلّوا، فكانوا مصاديق لقوله -صلى الله عليه

وسلم-: «اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»(4) واستضعف معناه: وجده ضعيفاً فركبه بسُوء(5).

فما أحسن هذا الاختيار حقا، فإن الرؤوس وأصحاب القدرات والسلطات لمّا رأوا في الناس العيّ عن التمييز والضعف في كبح النفس عن الشهوات استغلوهم، وامتطوا أعناقهم وأفكارهم، وساقوهم نحو أهدافهم؛ فإن الأتباع لم يكونوا مقهورين مكرهين، بل كانوا كالمطية التي تُعلَف وتُسخَّر وتُركب، بل كانوا أقلّ شأنا منها؛ فإن المطايا مجبولة على الانقياد مخلوقة لها، ولكن الإنسان فُطر على الحرية وحسن الاختيار وتسويد الأصلح، ولكنهم أساءوا التقدير فسوّدوا عليهم من لا يخاف الله ولا يرحمهم، واتبعوهم في غيهم، فكانت نهايتهم لما أوشكوا على الهلاك أن سمعوا: بل أنتم منعتم أنفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى وأطعتم آمر الشهوة ودون آمر النهي، فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا.(6)

فهنالك يتنبه المستضعفون للخسائر الفادحة والعيش التعس الذي عاشوه ولكن هيهات هيهات.

وكذلك فعل فرعون بقومه. فقد قال الله تعالى فيه: «فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ». (زخرف/54)

إن فرعون حمل قومه على السفاهة وخفة العقل، وجعلهم منحطّين شأنا وعقلا وعلما وعملا وسلبهم مجال النمو الفكري، ليتم له ما يريد من السيطرة عليهم، فأطاعوه لضعف في علمهم واعتقادهم، إنهم كانوا قوما فسقة خارجين عن نطاق الشرع والعقل.

إن آيات القرآن تثير كوامن النفوس وتحمل المنصف على أن يتفوه بمدحها، فما أجملها وما أكثر معانيها وما أدقها وما أضبطها!!! إن الكلمات منضدة بنظم محير للعقول كعجلات مسنّنة جعل الصناع الخبير بعضها جنب بعض في غاية الإتقان والبراعة والضبط والإحكام، فتُكمل بعضها بعضا وتُنتج ما لا يكاد العقل يُصدّق أن الكلمات هي التي تُوحي كل هذه المعاني العظيمة الطريفة اللطيفة.

فتعالوا نسبر هذه الآية لنقف على بعض ما فيها.

كلمة «استخف» من مادة «خـ فـ ف» لها عدة معاني:

1- استخف أي: استخف عقول قومه(7) أي: وجدهم خفاف العقول.

2- استخفّ أي: حملهم على الخفة والجهل.(8) أي أوقعهم في الجهل والطيش.

3- استخفّ أي استهان بهم.(9)

4- اسخف أي: استفزّ(10) واستفزّه: ختله حتى ألقاه في مهلكة.(11)

فأعقب الله هذه الكلمة في الآية بحرف «الفاء» ثم ذكر بعده الإطاعة، فالنتيجة أن معنى الاستخفاف -كان ما كان- الإطاعة تترتب عليه، أي: إطاعة أتباع فرعون له لم تكن لتحصل إلا بعد حصول إحدى المعاني المذكورة لكلمة «استخف».

فلا يطيع المستكبرَ إلا من كانت فيه خفة عقل وهوان وتميُّع يجعله خير اختيار ليستخدَم ويستضعَف ويستخَفّ.

أقول بكل صراحة: أينما وُجد الحمار وُجد من يركبه!

فمن كان صاحب أفكار سخيفة، وأهداف سطحية، متذبذبَ الهوية يرضى بسفاسف الأمور وزخارفها، وينقاد لكل طالح وجدها عنده.

يقول الشاعر: غير الجدير بأن تكون لقوحه...ربًّا عليه ولا الفصيل عيالَا.(12)

يصف الشاعر الرجل النبيل الفاضل بأنه يأبى ويترفع عن أن يُحل ناقته محل الرب، ولا تبلغ به الدناءة مبلغا يعامل الفصيل معاملة عياله؛ فإن الدنيا -وهي الأموال والمناصب وسائر الإمكانيات التي توفرت عند الظالمين بالجور والقهر والخداع- لا تكون في عيونهم عظيمة إلا بقدر خستهم ودناءتهم، فالدنيا -بهذا الحدّ الذي ذكرت- تكون أغلى لمن هو أرخص.

ثم تأتي كلمة «إنّ» وهي هنا في موضع العلة لجملة «فأطاعوه»(13) فالأقباط -هم قوم فرعون- إنما أطاعوا فاستجابوا لما دعاهم إليه عدوّ الله من تصديقه، وتكذيب موسى، لأنهم كانوا قوما عن طاعة الله خارجين بخذلانه إياهم، وطبعه على قلوبهم(14)، فلذلك سارعوا إلى طاعة ذلك الفاسق الغويّ(15)، فبسبب فسقهم، قيِّض لهم فرعون، يزين لهم الشرك والشر.(16)

فقد عرفنا أن الفسق هو الخروج عن طاعة الله، وأنه هو السبب الأصلي لأن يستخفّ المستكبرون الناس، ويستضعفوهم، ويملكوا أمرهم، ويقودوهم فينقادوا -ولو إلى المهالك-، ويأمروهم فيطيعوا -ولو في قتل المظلومين، وسفك دماء الأبرياء، وتشريد المطالبين بحقوقهم والتنكيل بهم، وممارسة أنواع التعذيب والحيف والعنصرية على أناس هم المسؤولون عن خدمتهم، وتكريمهم، وتعليمهم، وتثقيفهم-، فالأمة التي لم تخرج عما شرع الله -من الأحكام التي فيها صلاح البشرية جمعاء- لا تُستضعَف، ولا يَعبَث بعقليتها العابثون؛ فإن أغلبهم متمسكون بالدين، فبالطبع متماسكون؛ إذ الدين كله التماسك والتراحم والتناصر، فلا يغلبهم ظالم، ثم إنهم أهل صلاح وتقوى، وأهل صدق وأمانة، وهل الدين إلا الصدق والأمانة في رعاية حق الله وحق الناس، فبالتأكيد لا يرضون إلا بأن يسودهم ويسوسهم الأصلح الأتقى، فبذلك تصلح

أحوالهم جميعا، كما نرى ذلك في عهد الخلفاء الراشدين، وهذه سنة الله في الأمم إذا اتبعوا الشريعة العادلة المنزلة من الله التي كلها الخير والعقلانية سما شأنهم، وتطورت أفكارهم، لأن عقولهم قد اعتلت بعلوّ الأحكام التي أنزلها

الله العليم الخبير بمصالح العباد، فصارت منيعة، نيرة لا تكون ألعوبة بين أيدي المستكبرين المستغلين ضعف العقول، وانتعشت أرواحهم بريّا الإيمان والتقوى والإيثار والنصفة، فصارت نفوسهم أبية لا ترضى بأن تعيش تحت ظل طالح مفسد، فالمنية ولا الدنية.

نرجع إلى الآية. الجميل أن الآية جاءت بعد الحكاية عن بعض المغالطات التي خادع فرعون بها قومه واستخف عقولهم.

لما عجز فرعون عن إفحام موسى -عليه السلام- في ساحة الاستدلال والاحتجاج والبرهنة بدأ يلفّق ألأدلة ويبرهن على فضله ببراهين لا منطقية فيها ولا طائل تحتها. فنادى في قومه وقال: «يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي، أَفَلَا تُبْصِرُونَ؟!»

هذا الاستدلال يكشف عن مبلغ عجز فرعون أمام موسى -عليه السلام- في مقارعة الحجج. فإن كان له جواب غير هذا لجاء به وما استمسك بكونه ملكا كدليل على أنه يقول الحق، وهذا أقوى دليل على عجزه. كأن يتخاصم شخصان إلى القاضي، فيأتي أحدهما بأدلة وشواهد على أن الآخر يظلم الناس ويفسد في المدينة، فيقول الآخر: إني ابن كبير القرية ولي أموال كثيرة، وهذا فقير ليس له مال وملابسه رخيصة فكيف يمكن أن يجري الحق على لسانه؟! أليس هذا دليلاً على أنه لم يجد ردّا غير هذا.

ثم استدل بأن أنهار مصر تجري من تحته؛ فإن عنى بذلك أنه يتحكم على جريان الأنهار فهو رب فقد قتله وأهلكه هذا الماء الذي يدعي أنه يجري بأمره، وإن كان مراده أنه صاحب قصور تجري تحتها الأنهار فهذا أقبح، فإنه هو الذي أجبر الضعفاء على بناء القصور، وشق الجداول والأنهار، وصنع الجوابي في قصوره بأموال كان لهم فيها الحظ الأكبر، فهو سلبهم أموالهم ثم أكرههم على صنع الجداول بالأموال التي غصبها منهم، فهذا نهاية الظلم، فلا يخلو قوله عن أمرين: فإما أنه صرح بما قال أنه متألّه كاذب مخادع أو طاغوت ظالم قاس مستكبر.

«أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ»

المهين معناه الضعيف والحقير(17) وهل الضعف وقلة المال يساوي عدم الفهم وقلة العقل وفساد الكلام، فكل من كان فقيرًا ليس له حق أن ينددّ غنيًا أو صاحب جاه وسلطان؛ لأنه هو المدانُ لا محالة.

وقوله «لَا يَكَادُ يُبِينُ» يشير إلى العقدة التي كانت في لسانه من الجمرة التي ألقاها في فيه وهو صغير حين تناول لحية فرعون.(18) فكان بذلك هو السبب في الحبسة التي كانت في لسان موسى عليه السلام، فكان يعيّره بشيء كان هو المجرم الجاني فيه، وهذا آخر حد للوقاحة. لنعم ماقاله الشاعر:

تبغّى ابن كوز والسفاهة كاسمها.....

وهذه العقد التي عابها فرعون على موسى -عليه السلام- كانت به ثم أذهبها الله عنه، فقد عيّره بشيء قد كان وزال، ويدل على زواله قوله تعالى: «قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى»(طَه/36) وكان في سؤاله: «واحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسانِي».(19)

وهذا بالرغم من كل ذلك ليس من العيوب في شيء، إذا كان يبين ما في قلبه، ولو كان ثقيلا عليه الكلام.(20)

ثم يزيد فرعون: «فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ»

ولا أشرح أكثر من هذا، فالناقد البصير يتبيّن العجزَ والسخافة في كلام فرعون، والتميعَ في استدلالاته، والمسكنة والعيّ في المناظرة وآدابها.

وهذا شأن كل مستكبر في كل زمان، فإن المستكبر -كان من كان- على الباطل، والباطل لا حجة له ولا سلطان، إلا أن يتمسك بالأكاذيب ويموّه الباطل ويدلّس ويلبس، ولا يعرف ذلك ولا يقوى على مواجهته إلا من توطدت صلته بالله فآتاه الله فرقانا وأيّده بأيده؛ والطواغيت لشدّما يشوبون باطلهم بالحق ليخفوه وليلبسوا على الناس شأن المشعوذين الذين امتلأت أكمامهم بالشعوذات التي تُحيّر العقول وتجعل الناظر مشدوها لا يدري أيكذّب عينه أم يكذب عقله!

فكذلك الطواغيت سحروا بوسائل الإعلام وبما عندهم من الأموال والإمكانيات التي تُنسب إلى الشعب، ولكنها في الحقيقة تخدم أهداف طائفة خاصة تحاول غسل أدمغة الشعب وإقناعهم بكفاءتها وجدارتها للحكم عليهم ونصحها لهم.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل لنا وفرقانا، ويبصّرنا بنور معرفته، ويزكّي أرواحنا وقلوبنا وأفكارنا بمضامين كتابه الذي يعلو ولا يعلى عليه!

.....

المراجع:

1- صحيح مسلم/كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب ذكر الدجال/الحديث:2934
2- تفسير روح المعاني
3- تفسير الكشاف للزمخشري
4- متفق عليه رواه البخاري ومسلم
5- لسان العرب
6- تفسير الكشاف للزمخشري.
7- التفسير الميسر
8- لسان العرب
9- المصدر السابق
10- تفسير الجلالين
11- لسان العرب
12- ديوان الحماسة
13- كما هو شأن «إن» إذا جاءت في غير مقام التأكيد؛ فإن كونهم قد كانوا فاسقين أمر بيّنٌ ضرورة أن موسى جاءهم فدعا هم إلى ترك ما كانوا عليه من عبادة الأصنام، فلا يقتضي في المقام تأكيد كونهم فاسقين.
(التحرير والتنوير لابن عاشور)
14- تفسير الطبري
15- تفسير الآلوسي
16- تفسير السعدي لعبد الرحمن بن ناصر السعدي.
17- تفسير البيضاوي
18- تفسير ابن أبي زمنين، لابن أبي زمنين.
19- تفسير ابن الجوزي.
20- تفسير السعدي، السعدي لعبد الرحمن بن ناصر السعدي.

رجل يـتكلم بالقرآن منذ 70 عاما

حبيب الرحمن حاجي حسيني

تمضـي الثوانـي والدقائـق متباطئـة متمهلـة للمحبّيـن المخلصيـن الذيـن يتهيـأون، ويتأهبـون ليبصـروا حبيبهـم، وليؤنسـوا عزيزهـم، ولكـن الطريـق بعيـد والسـبيل سـحيق! مهـلا يـا صديقـي! فـإن زماننـا -مـع مـا تكـدر علينـا عيشنـا- ولكنـه اسـتودع لنـا مـا يوصلنـا عـن كلّ مـكان سـحيق وفـجّ عميـق وإن تراخـى وتباعـد إلـى مـا نريـده.

النـاس قيـام ليلـة الجمعـة وإن كانـوا رقـادا، فـلا يشـعرون نعاسـا شـوقا وميـلا إلـى صـلاة الجمعـة لجمالهـا وبهائهـا وحسـنها وسـحرها. فـلا تكتحـل أعينهـم بنـوم وحينمـا تظهـر الشـمس في كبـد السـماء تطلـع شـمس في الأرض، ولكـنْ بـون شاسـع بينهمـا! شـمس الأرض أنـور وأشـرق وأظهـر منهـا. إنهـا تعلـو في السـماء حتـى تـرى ولكـن شمسـنا لا تعلـو إلا سـلّما صغيـرا وتُـرى في الآفـاق كلهـا، فالشـمس تكشـف جلبابهـا في النهـار، ولكـن شمسـنا تكشـف جلبابهـا وتبـرز مـن جلبابهـا ليـلا ونهـارا، وتبيـن الطريـق حقـا وتنيـر السـبيل واضحـة، فتُظهـر مـا أُكِـنّ، وتُعلـن مـا أُسِـرّ، فمـا تخـرج كلمـة إلا تبـثّ في الآفـاق والبلـدان البعيـدة النائيـة فتسـتمع إلـى خطاباتـه آذان صاغيـة باهتمـام بالـغ، فهـذه الكلمـات تعلـن آلام المجتمـع، وهـي لسـان الأمـة، فهـي عـن شـخص واحـد، ولكـنْ كل شـخص يشـعر أنهـا تخـرج مـن ضميـره، وتسـجّل على التاريـخ أنهـا مـن منهـج قـوي؛ فـكلّ كلمـة تسـمع منـه تفهـم أنهـا أعـرف منـك اليـك، فصاحبهـا طبيـب أريـب عـارف حـاذق يكشـف عـن ألـم كامـن بداخلـك، فبعـده يرشـدك إلـى دليـل يخرجـك مـن ظلمـات الغـي إلـى نـور الهدايـة والخـلاص عـن الآلام الأوجـاع، فـلا تشـعر بمضـي الوقـت وتحـبّ أن يقـف الزمـان ولا يقـف عـن الـكلام لأن كلامـه نبـراس يهديـك إلـى

المقصد المقصود والمأوى المأمول، فهذا الكلام له عين صافٍ ومصدر خالص؛ فكلامه مأخوذ من كلام رب العالمين العالِم بما يحتاج إليه البشر في كل حين لكل داء، قال الله تعالى: «يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ».

فهذا رجل كامل يتكلم بالقرآن منذ سبعين عاما من صباه إلى يومنا هذا كل يوم وليلة، سفرا وحضرا، تعلما وتعليما، علما وعملا، دعوة وإرشادا، وتفكرا وتدبرا.

فإنه عاش بالقرآن حقا، وهو تلميذ القرآن فعلا، فهو شيخ الإسلام مولانا عبد الحميد حفظه الله عن شر الأعداء ومكائد الشيطان، فهو حينما بدأ الدراسة بدأ بتعلم القرآن قراءة وفهما وعملا، ولهذا خرج من قريته إلى مدينه زاهدان ثم ترك الديار والبلدان، فذهب إلى كبار علماء باكستان حتى يروي نفسه عن ينبوع علومهم ويأخذ مما في أيديهم من الكتاب والسنة، فاستفاد من رجل عظيم، هو الشيخ عبد الله درخواستي -رحمه الله- رئيس جمعية العلماء بباكستان، فكذلك كان يشعر بعطش بالغ لسماع القرآن ودرس الحديث من المفسّر المحدث العلامة الموحد مولانا عبد الغني جاجروي رحمه الله، فبعد أن تلمّذ عند هؤلاء شيوخ القرآن والحديث رجع إلى بلده، فبدأ بتدريس العلوم الشرعية لا سيما القرآن العظيم.

فكان يتلو القرآن آناء الليل ويتفكر ويتدبر ثم يخرج في النهار يبلّغ الناس كلام ربّهم ويرشدهم ويزكيهم به، فتراه كل يوم أقوى وأشجع من أمسه؛ لأنه قد ملأ قلبه بالقرآن أكثر من الأمس، والله سبحانه وتعالى قد أفرغ على صدره نورا عظيما وأفهمه فهما صحيحا على منهج القرآن.

فمراتب الناس تتفاوت؛ فمنهم خواص، ومنهم عوام، فكلهم يتلذّذ بما يسمع لأنه يبلغ رسالته بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادل بالتي هي أحسن إعزازا لكرامة الحق ودفعا لغلبة الباطل؛ فدعوته لا تخضع لسلطة ما، لأنها تعتمد على القرآن والسنة، وتظهِر ظروف البيئة وترشد إلى حلّها بأحكام واضحة موضحة.

فكل يوم يزداد طلابه والذين يأخذون منه دروسا وعبرا لحياتهم، فكم من رجال غيّروا مجرى حياتهم بعد أن قاموا من مجلسه وصاروا من خيار أهل الأرض فرأينا أن القرآن على نهجه وطريقه كما دخل في الصحابة، فصفت حياتهم وتغير عيشهم، كانوا قطاع الطريق فصاروا عبادا الليل، وكانوا لا يتنازلون عن حق حقير، فصاروا يبذلون لإخوانهم أنفسهم العزيزة، ولكن المشكلة من المسلمين حيث ابتعدوا عن هذا القرآن الكريم العزيز، وعرَف شيخنا وعرَّفَنا كيف بقي القرآن على أن يكون هاديا كما كان هاديا وسيكون إلى يوم القيامه هاديا، فعلمنا أن القرآن هو المصدر المعصوم حتى نأخذ حقيقة الدين والأحكام منه، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الرجل الكامل المتّبع في كلامه وأعماله، والإعتصام بما قال وعمل -صلى الله عليه وسلم- هو الحل الوحيد لما نراه في كل زمان، فلا فوز ولا فلاح إلا بإتباع سننه الراشدة؛ فهو يغذّي القلوب والأرواح بغذاء تحتاج إليه، ويحرك الإيمان في النفوس، ويثير المشاعر الدينية، ويصون الحقائق الدينية المأخوذة من القرآن والسنة، ويقوي الصلة الروحية والعقلية بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، ويعيد الثقه إلى آحاد المجتمع الإسلامي؛ فهذه الحقائق مأخوذة من كلام الله سبحانه وتعالى.

فشيخنا -حفظه الله عن كل كرب وحزن- لا يداهن في أمر دينه أو يسكت عن باطل يراه خطأ، بل ينطق بما يعتقد حقا، وينقد ما يراه باطلا، ولكن بالتي هي أحسن وهذا هو منهج القرآن الكريم.

وما تراه يوما أو بعد صلاة إلا وقد يبذل الشيخ -حفظه الله- وقته لتلاوة القرآن في الصلاة وخارجها ويتدبر في أحكامه، ثم يعقد كل يوم حفلة تفسير القرآن، فيسقي الناس بما سقاه الله من فهم وعلم ودرس وهداية إلى الصواب الراشد، ويزوره الناس من أقصى البلدان، ولكنه يقربهم إلى كلمة سواء بينه وبينهم، فهو نبراس الهداية في عصر لا يوجد مثله إلا ما شذّ وندر.

فحقا إنه يتكلم بالقران منذ 70 عاما، فهو يوجه الناس إلى التمسك بحبل الله -عز وجل- والتثبت بنبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- والهدي بسيرة خلفاء الراشدين -رضي الله عنهم ورضوا عنهم- وإيصال الناس إلى متطلّباتهم الحقوقية والمادية.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقه وإيانا وسائر المسلمين إلى التمسك بحبل الله جميعا وأن نكون من تالي القرآن ومتدبريه.

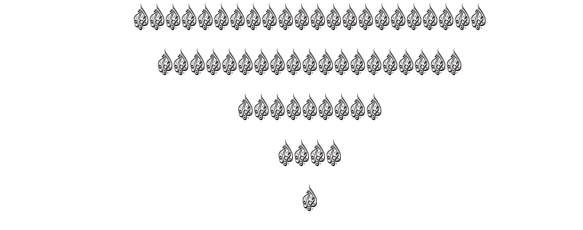

قد يضيع من ليس حقه التضييع

ميلاد عبادي نيا

باسم من فطر الخلائق بقدرته.

أبدأ مقالتي هذه بتحميد الله تعالى وتقديسه، ثم بالصلاة على حبيبه عليه الصلاة والسلام.

أما بعد: فإنا نرى اليوم أشياء لا تقبلها العقول ولا تطمئن إليها النفوس، لكن قد فُعل ما فعل، وخرج الأمر من أيدينا وصرنا نحن كميت بيد الغسال، ونشاهد قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد تحقق: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ». لا أريد أن أتكلم عما يجري في العالم اليوم من المصائب التي تسيطر على الأمة الإسلامية. لماذا لا اشتياق إلى ذكرها؟ لأننا نذوب بذكرها كما تذوب الشحمة على الجمرة، ونحترق برؤيتها احتراق الحطب في النار، وليس هناك قوة تدافع عن المظلوم أمام الظالم، وعن المسلم أمام الكافر، وعن من يلوذ إلى عدل لا يوجد، وعن من ... فهناك مثل لمن يرضى بالظلم ويؤثر العار على الشهادة: «تحت الأرض خير له من ظهرها». فإني أخاطب من يكون حاله هذه: أيها الجبان الحقير! دع حياة المذلة وانصرف عنها وبدِّل طريقك الخاطئ بصراط الذين أحبوا الشهادة كما تحب أنت الحياة. فها انظر إلى حب النبي للشهادة: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ».

قالها مرارا لاستقرار أهميتها في قلبك، لكنْ أنت في غفلة مهلكة أهلَكتِ الذين تقاعسوا ثم تغافلوا، وصاروا كمن يعيش ولا حياة له، ويتنفس ولا يتلذذ بحياته ولا خير في خاتمته. نعوذ بالله من تلك. والآن نخوض في ما أشرنا إليه من قبل لنعرف علل الضعف في الممالك الإسلامية التي بأيدينا ولا نملك أمرها وكأننا صبيان نلعب بما ليس لنا: الأولى: حب الدنيا التي تغر كل من يميل إليها وهو كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «رأس كل خطيئة».

اعلم أيها الأخ الكريم لا تنجو إلا بترك حبها، ولا تصير محبوبا عند الله وبين الملائكة والناس إلا بالزهد في الدنيا، كما قال الحبيب عليه الصلاة والسلام: «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس». والروايات في ذلك كثيرة لا تحصى، وأما اسمع قول الله تبارك وتعالى حيث يخاطبنا: «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ».(الحديد/20).

والعلة الثانية: عدم الإنابة إلى الله تعالى، فإن الأمة التي اتصفت بهذه الصفة القيمة التي أكد الله عليها تمتاز من بين الأمم، وقد جعلها شرطا للهداية حيث قال: «وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ».(الرعد/27). وإننا نُظلم اليوم ونُحقَر ونُقهَر لأننا لا ننيب إليه ولا نتمسك بالإنابة، وهي التي تجذب الخير والتوفيق في الأمور كلها. يا من بلغ البعد بينك وبين الله تعالى مسافات كثيرة اعلم أنك في خطر عظيم لا تحسّ! عليك بالرجوع إليه والتباعد عن الشهوات لئلا يحل بك ما حل بإخوانك المسلمين. كن أبيّا لا تقبل الضيم والحقارة، وهذا ما كان عليه الصحابة -رضي الله عنهم- ومن بعدهم. وأما العلة الثالثة وهي على ظني أساس العلل التي خرّبت بنيان المسلمين وهدمت ما اجتهدت الأمة المسلمة لبنيانها ما هي إلا الخيانة! والخيانة حذّر الله عنها فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ».(أنفال/27)

يا من ابتلي بهذا المرض الفتاك وهذا الداء العضال أرجوك أجوك دع الخيانة، والله لتسئلن عما تفعل، وعما تخون! لا تنس يوم تبلى السرائر، يوم تشهد على الإنسان يداه ورجلاه وجلوده، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها، يوم ترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. وفي الختام أنبه من غلبت شهوته على ايمانه بأن المسلمين اليوم يقتّلون ويُحقّرون وتُسفك دماءهم ولا أستطيع أن أفتي بالجهاد، لكن أحذركم من أن يقع الظلم بأيديكم على إخوانكم المسلمين في يوم ترون ضعفهم وقلة حيلتهم، والظلم أن تروا إخوانكم يظلمون وأنتم صامتون ناظرون لا تدافعون عنهم! قوموا إلى أمركم الواجب وهو نصر الإخوان في كل مكان، ولو في أقصى مكان كان؛ لأنكم لو لم تنصروا لا تنصرون، ولو لم تحموهم لا يحميكم أحد، وإن لم تدفعوا الظلم عنهم وقع عليكم قريبا، لأجل ذلك قوموا وانهضوا وأقدموا ولا تخافوا ولا تجبُنوا فتُفتنوا في دينكم.

نرجو من الله تعالى أن يكرمنا بالإيمان الخالص ثم صالح الأعمال ثم الغيرة الدينية.

المتفائل يخطو

للطالب: محمد ماري

ربما تأملتَ الإنسان وأمره، وشخصيته، وزواياها المتعددة، فإنه من أرهف الخلق حسا، يستوحش ويأنس، يزداد روحية ويكتئب؛ فإن فيه روحا تسبب حياته وحركته، قوته وإقدامه، ولو قبض -حسب ما نرى- لا يتحرك بحركة، فضلا عن القيام بشيء.

الإنسان يموت ميتتين. فإنك بعد أن عبّرت عن الموت بسلب الحركة الصادرة عن الإرادة، فتتمثل هذه الحالة الدالة على الموت في صورتين: الصورة الأولى تُقبض فيها الروح فتجد الشخص ميتا مخلّفا عن العمل، وهذه ما جرت عليه العادة وعهده الناس، والصورة الثانية الروح فيها لا تُقبض ولكن تجده لا حركة له ولا شعور ولا بدار. في هذه الكتابة أيها القارئ الخبير نتصدى لما يجعل الفرد من المجتمع الإنساني يفشل، ويتنازل تنازلا يبعده عن السعادة وهو يحس بذلك ولكنه رغم ذلك لا يقوم بالتغيير، بل يجد نفسه تفقد ما أنجزته طيلة آونة طوال شيئا بعد شيء أمام عينيه، ولكنه لا يرتعش ولا تشتعل فيه جمرة الحسرة حتى تشوّقه إلى الصمود والانتصاب، كأنه راض بالحال وأيقن بالانهيار.

نعم! إنه موت الأحياء، وله بواعث أحدها التشاؤم واليأس، وسوء الظن بالمستقبل، وغلبة فكرة الانكسار، وقلة التفكير بالانتصار، واستبعاد النجاح، والإحساس بالدنو من الانهزام.

من المؤكد أن الإنسان يعمل وفق ما يُعمِل الفكر فيه. فإذا خاض في العمل وهو مسيء الظن عمل مضطربا غير باذل أعلى مبالغ الجدّ والجهد مترقبا في كل حين حادثا أو خطأ ينجر إلى الهزيمة؛ فإنه بهذا الظن الخاطئ يعمل كي ينهزم.

إن الذي يثير العجب ما ورد في القرآن والسنة مما يحملك على الصمود والتفاؤل البالغ أقصى حدّ ويرشد القارئ المتدبر إلى الصرامة والإيمان بالنصر.

قبل أن أتطرق إلى ذلك أرى أن أعدّ بعض ما يدعو إلى التفاؤل. أعني ما يعوَّل عليه ويوثق به، ويجعل الإنسان متفائلا. من ذلك المال؛ فإنه يشدّ أزرك في كثير من المواضع، ولكنه يطرأ عليه النفاد، وأحيانا لا يفيد في حل بعض عقد الحياة وإزاحة بعض الصخور.

ومن ذلك المواهب والقدرات الذاتية المودعة من جانب الله في الأنفس، فورب الخلق أجمع! لقد أودع الله في نفوس البشر ما لو تأملوا فيه اعتبره ثروة طائلة لا تُقدَّر ولا يضبطها حساب. وإن الله لم يدع أحدا إلا وأكرمه بمواهب وقوات ذاتية يندر وجودها في الآخرين، وإنما الفرق في كشفها وتنميتها واستغلالها وازدهارها، فلا تستخدم التعابير: لا يمكن، لا يتأتى لي، لا أستطيع، بل واعلم أنك ناجح وأنك كلما تقدمت أكثر تقدما مما كنت قبلئذ، ولكني لا أنهي الحديث هنا ولا أكتفي بما ذُكر؛ فإن القدرات والأموال لا تؤمن عليها الحوادث، قد يحدث لها ما هو خارج عن الاختيار، وما هو فوق الأسباب التي نعرفها، ومن ثم إنها وغيرها ليست بخير معوَّل وأحسن مرجوّ، وإن من يتكئ عليها لا يأمن الطوارئ.

وفي الأخير أملأ الخلأ الكبير في مقالتي وأقضي لبانتها وهي أنه ليس في الكون أحد آمنَ ممن عوّل على

الله، وعلّق آماله عليه، وهو يتفاءل بالمستقبل تفاؤلا ناشئا من التعويل على الله؛ فإن الله فعّال لما يريد، لا يُعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، ومن العجب العجاب يأس من آمن بالله، من آمن بأن له ربًّا هو ولي للمؤمنين، ناصر للمستضعفين، فرض على نفسه الرحمة ونصر المؤمنين، وما أروع وما أدق قول النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء».

هنا يتضح لنا أهمية المرجاة من الله وإحسان الظن به تبارك وتعالى كي نعيش متفائلين نائلين نصر الناصر، وتأييد المؤيد الواحد، ومن ثم نسرد لكم لمحات من الكتاب والسنة التي تتركنا على حسن الظن بالله عز وجل إن شاء الله.

أبدأ بقصة آدم أبينا عليه السلام فإنه بعد ما صدر منه من الأعمال وإخراجه من الجنة وهبوطه إلى الأرض وكلما جرى له مما يدعو إلى اليأس من رحمة الله والقنوط من غفرانه لم يفتح لليأس إلى قلبه بابا، بل ونادى ربه التواب الرحيم: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ».

فمن أذنب وأسرف في الذنب فليعلم أنه لا حامل على اليأس، وليقرأ الآية: «وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَّحِيمًا». ولا أظهر في عدم جواز اليأس للمذنبين المسرفين من كون الله رحيما توابا كريما غفورا ومن خطاب الله الصريح: « يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ. إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا. إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ».

فهل رأيت أوضح من هذا، وهل تريد أصرح منه، فعُلم أنه ليس لك أن تيأس من رحمة الله أرحم الراحمين.

أذكر ثانيا: إنك لو أتعبتك المشاكل وآيستك الأمراض فلا تنس رجاء سيدنا يونس عليه السلام ودعاءه ربه الكريم حين أظلمت له الدنيا وانقطعت الآمال، ثم استجابة الله له وإنجاءه مما كان فيه، وفي نهاية القصة يخاطبنا الله بخطابه الذي ينفخ روح الأمل، ويحيي القلب ا ليائس: «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ».

وإذا ابتُليت بالأمراض والنقص في الأموال والأولاد فلا تنس سيدنا أيوب عليه السلام ورجاءه مهما حلت به المضايقات والنوازل ودعاءه إذ نادى ربه: «أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ». فقد أبلى بلاءً حسنا، ولو امتُحنت بالعُقر فاذكر سيدنا زكريا عليه السلام ورجاءه بالله رغم كبر سنه وعقر زوجته فقال: «رَبِّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ».

فإذا ابتليت ببلية فلا تنكسر ولا تيأس وثِقْ بوعد الله ونصره وثوابه، وأنه لا يدعك أبدًا أبدًا، ولا يتركك في الصعوبات تجود بنفسك! ولكن أحسن الظن بالله وتأمل بلايا أحب عباد الله إلى الله وعظمة رجائهم به تبارك وتعالى عما يصفون.

ثم أخي القارئ!

أمعن النظر في حياة الرسول -صلى الله عليه وسلم- فلو أراد النبي -صلى الله عليه وسلم- التشاؤم واليأس والانكسار فلقد خاض اليأسُ الميدانَ بجميع أسبابه مُلئت مكة من ردّه وقدحه وعُذّب أصحابه بصنوف العذاب، ثم حوصرَ هو ومن معه ثلاث سنوات كاملات بشعب أبي طالب، ثم عمد ثقيفا بطائف فسبوه بألسنة بذية ورموه بالحجارة، حتى تخضّب بالدماء نعلاه، ومضى على دعوته إحدى عشرة سنة.

ثم ذهب إلى المدينة، فعزمت على غزوه العرب من آخرهم، ولكن النبي -صلى الله عليه وسلم- مثابرا جادًّا متفائلا يواصل الدعوة، ولا يصدّه عن الرسالة عزيز ولا حقير، بل ويبشر أصحابه بفتح الفارس والروم، وهو عصب على بطنه الحجر من الجوع، حتى وإن المنافقين كانوا يضحكون من بشائر النبي -صلى الله عليه وسلم- ولكنه لا يعرف غير الرجاء والتفاؤل بعد أن أحسن الظن بالله، وأزيد المقام ضياء وبهجةً بذكر الحديث الشريف في النهاية: «عن عوف بن مالك أنه حدثهم، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قضى بين رجلين فقال المقضي عليه لما أدبر: حسبي الله ونعم الوكيل. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ اللهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ». (سنن أبي داود/كتاب الأقضية)

فكن راجيًا متفائلا بعيدًا كل البعد عن اليأس أيها المؤمن.

تحليل على موقف طالبان تجاه المتعلمات

للطالب: دانيال درويشي

التعليم والتعلم في الفكر الإسلامي

الحمد لله الذي رفع من شأن العلماء العاملين فقال في كتابه المبين: « هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وهو إمام المتقين وخاتم النبيين. أما بعد:

لا جرم أن الإسلام دين قد اعتنى بالتعليم والتعلم اعتناءً بالغا، ولم يزل يستحثّ الإنسان عليهما، ولم يعدل بين العالم والجاهل، بل جعل للعلم والذي يعثر عليه منزلة سامية ومقاما عاليا؛ لأنه يزيل الجهل والعيّ ويحلّي له الحياة ويمنحه الحيويّة والنشاط، ومن زيّن به نفسه يحل كثيرا من النوائب التي نابته والدوائر التي دارت عليه، وجدير بالذكر أن يقال هو الطريق الرئيسي الذي يؤدي إلى معرفة الله تعالى.

ولمّا نقوم بتقليب صفحات التاريخ نصل إلى هذه البغية أن التعليم والتربية كانا يدوران منذ طلعت شمس الهداية في بلاد العرب ونوّرت الكرة الأرضية.

والحجة التي على ذلك هي كتب سيرته عليه الصلاة والسلام وعندما نفضّها فإذا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد قام في بداية أمره بالدعوة سرّا وحيدا، فريدا، لا عضد إذا عزم يؤيده، ولا حامي إذا قصد يعينه، وكان في الأمة العربية التي كانت متخالفة في النزعات وخاضعة للشهوات، حتى تخطى عدد المسلمين الثلاثين، فوضح لهم وجه الحزم من أمرهم ليجتمع جمّهم من الرجال والنساء في مأمن لأجل التعليم والتعلم والتربية، فاصطفيت دار أرقم بن أبي الأرقم. وهذه أول مدرسة قامت على قواعد الإيمان والإخلاص وهم أول من تتلمذوا عند المعلم الشفيق الحنون.

ثم بلغ هذا الأمر إلى سدرة المنتهى سنة 350 الهجري في عهد الدولة الأموية. جمع حكم بن عبدالرحمن الناصر لدين الله ستمائة ألف مجلدات من الكتب العلمية في مكتبة كبيرة كانت في عاصمة أندلس (قرطبة)، ولم يعهد التاريخ نظير تلك المكتبة قط. وشيّد أربعا وعشرين مكتبة للأطفال حول مدينة قرطبة وجعل التعليم والتعلم مجانا للشعب الضعفاء و المستضعفين، اختص جامعات للرجال وجامعات للنساء وتلألأ جم غفير من المحدثين والمفسرين والفقهاء والأدباء والأطبّاء وغيرهم من الذين بلغوا مبلغا عاليا في العلوم المختلفة. فالتجأ الناس من طول البلاد وعرضها إلى هذا البلد المزهر ليبرّدوا غليلهم بهذه الفنون المتنوعة. حتى وصلت الحال إلى أن ملك بريطانيا (جورج الثاني) بعث ابنه إلى تلك الأرض المتألقة ليترعرع على ظلّ الكتب العلمية والعلماء البارعين.

ذكر الدكتور عبدالرحمن علي الحجّي في «التاريخ الأندلسي» أن العصر الأزهر الذي تألّق فيه المسلمون هو ذلك العصر الأندلسي، لما انتشرت

الثقافة وكثر الإنتاج العلمي، وشاعت المعرفة، حتى فشا العلم و عمّ. تشهد على ذلك المؤلفات الكثيرة والمكتبات العامة والخاصة.

تحصيل المرأة في الرؤيّة الإسلامية.

منذ قامت الشريعة الإسلامية على قدم وساق، وطار لها صيت في الناس، واستولى من جزيرة العرب إلى أقصى قطر العالم لم يخصّص التعليم والتحصيل لعشيرة خاصة، ولم يسيّجهما لعترة دون عترة أو لم يحصرهما في الرجل المسلم دون المرأة المسلمة، بل أوضح لنا إيضاحا شافيا بأن العلم قد فُرض فرضَ كفاية للمسلم والمسلمة.

فيليق بنا أن نتذاكر في هذا المقام حديثا رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ الله -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ، تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ الله. فَقَالَ: «اجْتَمِعْنَ في يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، في مَكَانِ كَذَا وَكَذَا». فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم- فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ الله».(رواه الشيخان)

فإمام الأنبياء لم يعبس تجاه سؤلتهن ولم يكفهرّ وجهه أو يحرِ جوابا، بل جعل الرجال والنساء سواسية في حق التعليم.

فالحاصل أن المرأة كانت تنافس الرجال في حلق التعليم والتعلم طوال عهد رسالته -عليه الصلاة والسلام- وتجلس في مجالس الحديث، فتجتهد في سبق أقرانها من الرجال والنساء لتنال طورا سامقا في هذا الفن. وكم من نسوة كنّ أفضل ضبطا وأوسع عقلا من بعض الرجال، فيتلقّين أحاديث النبي الطيّبة ويقمن بروايتها. ومن أشهرهن: أم المؤمنين عائشة الصديقة و أم سلمة وغيرهن.

شدّما تفوق المرأة في مجال السياسة والتجارة والكتابة على الرجل وقد أخطأ من يزعم أن المرأة قد خلقت لتربية الأولاد وتحفّظ الدار وأهلها فحسب. فهو قد استقل شأنَ المرأة و دورها في المجتمع.

كما أسلف الشيخ عبدالحميد -حفظه الله- في الأسابيع السابقة. فالمرأة في الإسلام من الأهمية بمكان عظيم. والإسلام لا ينافي تعليمها وتعلمها، بل يدعوها دوما إليه لِما أنها تقوم في المجتمع بدور رئيسي. فهي في المستقبل ستربي الجيل القادم وستكون مدرسة للأبطال و مصدرا للصناديد. وواجبها خطير تجاه أولادها والمجتمع الإسلامي. فيجدر بها أن تشدّ حقويها وتخوض في العلم والتعلم لتقدر على تنشئة جيل قويم. والأراجيف التي تطرق أسماعنا من جانب الدهريين والمستشرقين الذين لهم مقاصد سوء ومحبة لإثارة المعمعة بين المسلمين بأن الإسلام والدولة الإسلامية تخالف تعلم البنات وتعليمها، لا أساس لها من الصحة. من جرّاء هذا أشار الشيخ محمد جميل فقي رسول في كتابه «المرأة في الفكرالإسلامي». فتعليلي بذكر المرأة في هذا الحقل هو تفاعلات حدثت من جانب الآخرين تجاه حصيلة عمل الإمارة الإسلامية وهي إغلاق الأبواب على البنات للتهذّب والتهذيب وحظرهن من التعلم والتعليم. لمّا وقعت هذه الواقعة، وثَبتْ وسائل الإعلام العامة من كل متّجه على الإسلام لا سيّما الإمارة الإسلامية. فقلت في قرارة نفسي: أحقا ذلك ما يقال؟ أتقوم الإمارة الإسلامية التي أبصرها الناس ويرونها على الصواب بهذا العمل!؟ هل تتغير في لمح البصر!؟ وإني تمعّنت في هذه المسئلة وقمت باستقصائها لأنه لا يُعتمد على هذه المواقع الهاذية الإنترنتية والقنوات الفضائية. ففهمت حق الفهم وعلمت أن الوزر يرجع إلى البنات أنفسهن لِما أنهن هجرن بعضا من قوانين الشريعة الإسلامية، وأخذن بعضها. وهذا ما يكرهه الله تعالى وقال: «أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ؟». هن قمن بالتجميل والتبرج في الأماكن العامة، واختلطن مع الرجال في صف واحد خلافا للتشريع الإسلامي.

فالإسلام والإمارة الإسلامية لا يخالف التعليم، بل يخالف التجميل وسوء الحجاب واحتفاظ الحجاب الذي يحرّض عليه الإسلام لا يستصغر مرتبة البنات والنساء، بل يحتفظها ويستعظمها. فالجامعات والمدارس للبنات واجب ليُوغلن في العلم، ولكن حفظ كيان الأسرة وحرمة البنات أوجب منها، فلعل النظام التعليمي الذي تسرّبت إليه الاتّجاهات الباطلة التحديثية الغربية التي تُشمّ منها رائحة الفساد والدجل يفيدهن؛ ولكن في الواقع معقل سياسي ومخدع يهدّد بنيان الأسر المسلمة ويبعث على هتك حرمة البنات وحيائهن. لما اضمحلّت بناية الأسرة في مجتمع يؤدي إلى انحطاط ذلك المجتمع ووقوعه في المناقع، ثم الجامعات والمدارس العلمية التي هي محرّكات التقدم لبلد لا تواجه الاختلال ولا تبطؤ حركتها فقط، بل تربي الشباب الغربيين الذين يرهقون أنفسهم ليحقّقوا الأهداف السيّئة الغربية. وبالتالي تبيد مقاصد البلد الذي وطّد الأمل بتطوّر أرضه يوما فيوما، ويلبس مجتمعُه الإسلامي لباس خصومه الألداء.

فبالإجمال كانت حركة الإمارة الإسلامية حركة ناصحة ومشفقة إشفاق الأب لأولاده تقصد بإصلاح العمليّة العلمية أن تعاون الأسرة والمجتمع لتقف على الدرب الصحيح.

ملتقى التراكمة في جامعة خيرآباد

للطالب: عبد الحكيم إبراهيم نجاد

قال الله عز وجل في محكم كتابه: «وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ».

أما بعد: فنحن معشر التراكمة شعب من الشعوب التي خلقها الله ليتعارفوا، ولا بد من فوارق بينهم لتحقَّق العلة التي ذكرت في الآية.

فبالتالي الشعب التركماني أيضًا هم خلطاء في خصال وميزات جعلته يتميز عن غيره، ومن أشهرها -وبها صار يُشار إليه بالبنان- ما ورثه من تراث أبيهم إبراهيم عليه السلام وهو إكرام الضيوف وإنزالهم منزلا كريما واستقبالهم بتأهيل وسهل ومرحب، ولا نخوض في تفاصيله، ومنها الحِباب فيما بينهم، لا سيما إذا تلاقوا في بلدة غريبة نائية عن موطنهم، فيصير أحدهم كأنه وجد أخا له من أب وأم، وحفل التراكمة الذي تمّ عقده في الجامعة شاهد عين على أن هذا الادعاء ليس مجازفة.

إن الجامعة تضيف عددا من الطلبة التراكمة جاءوا إليها للتفقه في العلوم الشرعية، وهؤلاء اختاروا هذه الجامعة لتحقيق أربهم وتبريد غليلهم لما رأوا أنها وقعت في مهد الرجال وتربتهم، وتفوح من الأبناء روائح الآباء وأفكارهم.

هؤلاء الطلبة التراكمة في أوان تحصيلهم اطلعوا على إخوان لهم بمدينة «تربت جام» -وهي من مدن خراسان- ومن ثم جرى في أذهانهم وابل من الأسئلة على رأسها أحوالهم الدينية وأخوتهم الإسلامية وصلة بعضهم ببعض، فأفزعتهم هذه الأسئلة؛ لأن مسؤولية التبليغ قد ألقيت على كواهلهم، لا سيما إذا كان المبلَّغ من عشيرتهم وبني جلدتهم، «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ».

فأبصروا قصدهم وجعلوه مطمح أعينهم وأزمعوا على أن يزوروهم بين تارة وأخرى -وهم يهمسون ويردّدون: امش ميلا عد مريضا، وامش ميلين أصلح بين اثنين، وامش ثلاثة أميال زر أخا لك في الله؛ فبزيارتنا هذه -ولا حول ولا قوة إلا بالله- انجرفت الأسئلة وإخواننا كانوا على ما نتوقع منهم من حسن إسلامهم، وحبهم لله والرسول -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه -رضي الله عنهم أجمعين- وكنا على هذا بين ذهاب وإياب إذ خطرت فكرة ببال الشيخ سليم رحماني -وهو تركماني وأحد الأساتذة بالجامعة- وهي استدعاء إخواننا التراكمة للحضور في الجامعة، ثم استشارَنا في هذا الأمر، ولم أجد أحدا ما أعجبته الفكرة، بل استقبلها كل من سمعها بكل سرور، فبادر رهط إليهم وأخبروهم بما قرّر الأساتذة والطلاب، وعينوا لهم الموعد، وأكدوا أن يحضروه، وجامعتنا قد جربت كثيرا من هذه الحفلات في طوال السنوات الماضية، ولم تكن حفلتنا أول حفلة تنعقد فيها ولا تكونّ آخرها، ولكن كانت بالنسبة إلينا أول جلسة نجرب القيام بعقدها، وما كان لنا سابق تجربة، وصادفت الحفلة الظروف العصيبة التي كانت البلاد تكتوي بنارها -من احتجاجات ومظاهرات

ضد المشاكل الاقتصادية وغيرها من الورطات التي وقع فيها الشعب الإيراني- ومن ثم كان يجري في أذهاننا كثير من الأسئلة: ماذا إن لم يحضروا؟! وإن لبّوا دعوتنا أتعوّقنا الحكومة عن عقد الحفلة؟! وإن لم تمنع وشهدوا جميعا هل لنا من القدرة والاستطاعة ما يكفينا في إلقاء ما في ضمائرنا وتحقيق ما هو المرام في نفوسنا؟!

هذه الأسئلة والاحتمالات كانت تؤرّقنا وتنغّص صفونا، ولكن الله عز وجل يقول: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ».

فكنا نتماسك وتزول عنا كل هذه العوائق الصارفة لنا عن وجه المراد، فبعد الدعاء والتوكل على الله جعلنا نقسّم الأمور والوظائف بيننا ونفوّض إلى كل وظيفته جازمين على أن لا نألو جهدا، ونستعد لخدمتهم عن بكرة أبينا، حتى صرنا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

وكرَّ الغداة ومرّ العشي حتى أتانا الموعد، والحمد لله حضر الحفل جمّ غفير من التراكمة، وما لم يكن بالحسبان هو قدوم وفد من «تركمن صحراء» في طليعتهم الشيخ «موسى شركزي» من خريجي الجامعة وأحد الدعاة في المنطقة، والحاج «ميرحسني» أمير جماعة الدعوة والتبليغ بها.

ثم بدأت الحفلة بتلاوة القرآن الكريم شأنَ جميع المحافل الدينية، ولكن القارئ كان يختلف عن سائر القراء الذين يقرأون مع الترجيع، كانت القارئة عائشة بنت الشيخ رحماني التي لم يتجاوز عمرها ستّ سنوات، وقد أثّرت في النفوس تأثيرا بالغا، وترنحت العواطف إثر تلاوتها، ثم أتيحت لي فرصة فاغتنمتها، وأشرت إلى علة اختيارنا هذه الطفلة الصغيرة للتلاوة، وهي جهود أبويها في تربيتها وتثقيفها وتنمية مواهبها والبيئة التي نشأت فيها، وكان الحال يقتضي أن أعرّف لهم الكتاتيب القرآنية للأطفال ومنهجها في خيرآباد، فابتدرت ذلك.

بعد ذلك تركنا المجال والمقال الافتتاحي لسماحة رئيس الجامعة الشيخ «عبد المجيد رجبعليزادة» وبدأ الشيخ خطابته بقول الله عز وجل: «كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ»

وعلى مألوف العادة في المجالس رحّب بقدوم الضيوف وعرّفهم فضل هذه المجالس عند الله على غيرها من المجالس؛ فإن الذي حملهم على القدوم هو الحب لله، وبه ينالُ الأجر والثواب.

فيا أيها السادة!

لم ينل أحد حب الله عز وجل ورضوانه بلا كتابه المنزل من فوق سبع سماوات الذي لا ريب فيه، ولا اختلاف بين الفرق الإسلامية مع كثرتها وتنوع آراءها ونزعاتها في قطعية القرآن وحجيته وقداسته، فمن يتمسكْ بما يخرجه من الظلمات ويفرّج عنه هموم الحياة ويكون عونه في الظروف العصيبة يذُقْ حلاوة الحياة في الدنيا فضلًا عن الآخرة، وبه يتميز المؤمن عن الكافر إذ وقعا في متاعب الحياة ومشاكلها أو مرافقها ونعيمها، فالمؤمن لا يكون هلوعا، بل يحتسب ويصبر عند المصائب، ويشكر ويحمد الله ويتأنى ولا يتبجح عند النعم خلافًا للكافر.

فيا إخواني!

أي داهية أصيب بها المسلمون اليوم بسبب ابتعادهم عن القرآن، وقد لقي العالم خسائر فادحة جراء اعتزال المسلمين القرآنَ، حيث أخذ الكفار يشكّون ويشكّكون في الإسلام والقرآن.

فيا أيها الأحبة المرجو والمطلوب منكم أن تتعلموا القرآن والإسلام تعلّما منهجيًّا صحيحًا، والمدارس الدينية والجامعات قد أُسّست لتُحقِّق هذه الغاية، ولتسد هذا الفراغ الهائل، ولتقضي هذه الحاجة الماسة، فأعينونا في إنجازها بجعل أنفسكم وأولادكم طلّابًا لهما [أي للإسلام والقرآن].

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد ذلك استدعينا الشيخ «موسى شركزي» للخطابة، فأتى المنصة حاملًا فكرًا كبيرًا ثم تلا قوله تعالى: «وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ».

وفي بداية الكلام كانت الآية ضربة مخالسة على الحمية القومية التي يرفضها الإسلام، وتدل على ذلك معاملة النبي -صلى الله عليه وسلم- مع سلمان -رضي الله عنه- حيث دعاه بـ: «ابن الإسلام».

ثم تلا قوله عز وجل: «مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا».

ثم قال: أيها الضيوف الكرام! لقد خالج نفوس الشعوب كلها نيل العزة وحبّها، فليس بعجيب أن نطلبها نحن التراكمة، بل هذا مألوف وممدوح؛ فلذلك أشير إلى أهم الأسباب التي توصل إليها لتعلموا كيف تُورد الإبل.

أوَّلا: التمسك بكتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- لأنهما مصدر العزة والشرف.

ثانيا: التموّل الإسلامي، فقد تعلق به إحياء أركان الإسلام من زكاة وحج وجهاد في سبيل الله، وكم من الصحابة خدموا الإسلام بأموال ورسموا تبسمات على شفتي النبي عليه الصلاة والسلام.

ثالثا: تربية رجال هم فوارس الحلبات وتقديم أولاد إلى المجتمع لهم كفاءات وقدرات، والأمهات يلعبن في إنجاز هذه المهمة دورا رئيسيا؛ فالمطلوب منهن أن لا يرضعن أولادهن إلا وهن يناغينهم ويهمسن في آذانهم وينفثن في قلوبهم العقيدة الاسلامية وفكرتها.

لم تكن الإفادات والنصائح مقصورة على هذه السطور والجمل، ولم يكن المجال يسمح لي أن أذكر كل ما قيل،

ولكنـي اختصرتهـا اختصـارا، فجـزى الله الخطبـاء عنـا كل الخيـر.

وقـدّم الطـلاب مسـرحية يصـورون فيهـا تاريخهـم الذهبـي، ومـا صنـع آباءهـم المجـدون، وأسـباب مجدهـم وعزهـم وكرامتهـم مـن الإخـلاص، والإيمـان، وحميتهـم الدينية، وحماسـتهم الإيمانية، والاتحـاد دون أي تفـرق واختـلاف، وذكـروا كذلـك أسـباب تقهقرهـم وتخلفهـم إلـى يومنـا هـذا مـن إخلادهـم إلـى زخـارف الدنيـا ولذاتهـا، وحبّهـم لزينتهـا، وقلـة المبـالاة بأوامـر الله عـز وجـل ونواهيـه، وتـرك الاهتمـام بترشـيح الأولاد وتربيتهـم. وهكـذا واصلنـا الحفلـة حتـى انتهـت بدعـاء الشـيخ الأمتـي.

فالعجـب كل العجـب مـن مـدى تأثيـر البرامـج في نفـوس الحاضريـن. كان أحدهـم يقـول: مـا اسـتعبرت عينـاي منـذ نعومـة أظفـاري حتـى أبكانـي الليلـة مـا شـاهدت ومـا سـمعت.

وكان آخـر يقـول: لقـد مـررت بهـذه القريـة مـرارا في طـوال عمـري، ولكـن مـا انتبهـت إلـى هـذه الجامعـة التـي رأيتهـا الليلـة تفيـض بالعلـم والإيمـان.

إذا سـمعنا منهـم هـذه الكلمـات ومثلهـا ومـا رأينـا مـن سـرور وفـرح وبهجـة خامـرت قلوبهـم وظهـرت في صفحـات وجوههـم جعلنـا نتحسـر على مـا فاتنـا مـن الأيـام والسـنوات التـي لـم نحتفـل فيهـا.

وربمـا كنـت أسـمع مـن الذيـن يعقـدون الحفـلات والمؤتمـرات الدينيـة بـأن في عقدهـا صعابًـا ومشـاكل وأعبـاءً، ولكـن ثمرتهـا أحلـى مـن العسـل وكنـت أصدقهـم باللسـان وأحـرّك رأسـي تأييـدا لهـم، ولكـن تصديقـي لهـم الآن وشـعوري ينبعثـان مـن قـرارة الفـؤاد وعمـق الوجـود؛ فإنـه ليـس الخبـر كالمعاينـة. والحمـد لله على مـا وفقنـا ولا حـول ولا قـوة إلا بـالله.

سلسلة تاريخ الأندلس (2)

للطالب عبد الله عيدي زادة

كان القـرن الأول يدنـو مـن نهايتـه والمسـلمون حملـوا رايـة الإسـلام إلـى أن بلغـوا شـمالي إفريقيـا، كانـت البـلاد غمرتهـا ظلمـة وعـلا فيهـا حكّامهـا، فـأزاح الإسـلامُ بنيـان الظلـم فيهـا مهمـا كانـت لـه مـن هيبـة وكبريـاء، وبنـى على أنقاضهـا حكمًـا صـار محطًّـا لِآمـال المسـتضعفين، ومـن البـلاد المفتوحـة في نهايـة القـرن الأول المُظلمـة أرجائهـا، المظلـوم أهلهـا الأندلـس التـي كان فتحهـا سـببا لنـزوح أروبـة عـن حُضـض الجهالـة إلـى صُعُـد العلـم.

نتعـرض في هـذه المحاضـرة لاسـتقراء أوضـاع الأندلـس قبـل الفتـح الإسـلامي إن شـاء الله، ولـم أدّخـر جهـدًا في تحقيـق هـذا المختصـر، ونبـدأ بتوفيـق الله تعالـى مـن وجـه تسـميتها:

1- عُرفـت «إسـبانيا» أو شـبه جزيـرة «إيبيريـا» بأسـماء عديـدة على مـر العصـور، نُسـب بعضهـا إلـى أسـماء أنهارهـا، وبعضهـا الآخـر إلـى أسـماء شـعوب وقبائـل سـكنت في ربوعهـا، أو ارتبـط باسـم كوكـب.

على سـبيل المثـال: كلمـة «إيبيريـا» مـن أسـماء الأندلـس قديمـا، وهـي نسـبة إلـى نهـر إبـرو، وعُرفـت باسـم «بيتيـكا» نسـبة إلـى نهـر «بيتـي»، وهـو نهـر قرطبـة الـذي أطلـق عليـه المسـلمون اسـم «الـوادي الكبيـر»، وأسـماء أخـرى منهـا: «إشـبانية» نسـبة إلـى ملـك لهـا.

وكان السـهل الجنوبـي مـن شـبه الجزيـرة «إسـبانيا» الحاليـة يُعـرف باسـم فاندلوسـيا أو الأندلـس، وكان السـهل أولَ مـا فتحـه المسـلمون مـن شـبه الجزيـرة؛ لذلـك أطلقـوا اسـمه على سـائر شـبه الجزيـرة التـي أضحَـى معظمهـا تحـت وصايتهـم.

الوضع السياسي:

في عام 149 ق.م بسطت الإمبراطورية الرومية سيطرتها على إسبانيا التي أضحت جزءًا منها بعد حروب طاحنة بين روما والفينيقيّين، وانتشرت الديانة النصرانية في أرجاء الإمبراطورية بعد الميلاد المسيحي وقبلها الإسبانُ، وهذا الاشتراك الديني بين الإسبان والرومان مما زاد في ترابطهم.

وفي مطلع القرن الثاني بعد الميلاد بدأت الإمبراطورية الرومانية بالتآكل والتصدع بفعل الفساد الذي استشرى في أجهزتها، وقاربت نهاية رحلتها الطويلة.

وكانت القبائل الجرمانية [منها: القوط، والوَندال، والفرنجة، والألآن و...] تعيش خلف نهر الرايْن [في أوروبا يمر عبر سويسرا وفرنسا وألمانيا وهولندا] ونهر الدانوب [ثاني أنهار أوروبا طولًا، ممرّه بلاد ألمانيا وبلغاريا وأوكرانيا وصربيا] وتضغط على الإمبراطورية لقلّة الموارد، ولما كانوا يتعرضون من ضغط قبائل الهون الآسيوية البربرية. نشب صراع داخليّ بين القبائل الجرمانية وطرد القوطُ (Ghots) الوَندالَ (vandals) من مواطنهم في بولندا الحالية؛ فالتجأ الوندال إلى سلوفاكيا (slovensko) وعبر القوطُ نهر الراين واحتلّوا الجزيرة الإيبيرية في عام 409 م وكانوا يُعرفون بِـ»القوط الغربيّين»، ثم طردهم كلوفيسُ ملكُ الفرنجة -إحدى القبائل الجرمانية- وأجبرهم على النزوح خلف جبال البيرينه (جبالُ تشكّل سدًّا بين إسبانيا وفرنسا)، واصطدم القوط بالوندال فطُرِد الوندال إلى إفريقيا، وفرض القوطُ سيطرتهم على باقي القبائل الجرمانية الصغيرة في الشمال الغربي من إسبانيا وأسسوا دولة مستقلة.

فكانت الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا و برتغال) قبل الفتح الإسلامي تحت حكم القوط الغربيّين الذين اعتنقوا الديانة النصرانية على المذهب الآريوسي.

وكانت تشهد تطورات سلبية أدتْ إلى ضعف دولة القوط للانحلال السياسي الواقع بين الطبقة الحاكمة، حتى ثارت ثورة انتهت إلى خلع «غيطشة» الذي تولى العرش بعد أبيه «إخيكا» وإلى اغتصاب «لذريق» العرشَ. قام بتلك الثورة نفرٌ من أنصار لذريق الذي لم يكن من الأسرة الحاكمة، وثارت نقمة بينه وبين أولاد غيطشة، فكان النفوذ في إيبيريا موزّعًا بين حزبينِ متنافرين، يتزعم أولهما أولاد الملك غيطشة آخر ملوك القوط والثاني لذريق (رودريك) الذي اغتصب العرش، وكان نفوذ الحزب الملكي متمركزة في العاصمة أشبيليا SEVILLA.

وسبب الثورة أنّ الشعب كان مُهيَّأً للثورة لمعاناته من الفوارق الاجتماعية التي سنتعرّض لها، والتي أقامها الملك غيطشة بين سكّان البلد؛ فأوجد طبقتينِ:

1- القوط الغالبين المهيمنين. 2- الرومان المغلوبين المستضعفين ومنَع الزواج بين الطبقتين؛ فهذا هو الأمر الذي استغلّه الحزب الثاني الذي يقوده لذريق عندما نشبت الثورة، وقد تمكّن لذريق -بمساعدة رجال حزبه الرومان المستوطنين المستضعيفين، ورجال الكنيسة الناقمين، وكبار رجال البلاط المنتفعين، وبفضل ما كان يتحلى به من مواهب مِن نقلِ هذه الثورة إلى أشبيليا وإعلان نفسه ملكا على الأندلس.

تعرّضتْ المملكة القوطية لهجمات خارجية من قِبل الفرنجة الطامعة في الأراضي الإسبانية، فراحوا يشنّون غارات عليها من الشمال، وحضر المسلمون مشارف شبه الجزيرة في الجنوب بعدما فتحوا طنجة في المغرب.

الوضع الاجتماعي:

ما ظنُّك في وضع قوم لم يبلُغهم الإسلام بعدُ؛ فإنه لا داعي إلي العدل والمساواة إلا الدين الصحيح. فإذا فسد دينُ قوم انهاروا كلهم واجتماعهم، وانطبق هذا على المجتمع الأندلسي تماما؛ فإنه كان قبل الفتح الإسلامي انعكاسا وصدًى واضحا للنظام الملكي الموروث.

معروف أن القوط حافظوا على التركيب الاجتماعي الذي وجدوه قائما في إسبانيا أيام الرومان، بل ازدادت الحالة سوءًا تحت حكمِهم بفعل استمرار الانقسام الطبقي في المجتمع وسيطرة الطبقات بعضها على بعض، كما نجد هذا الانقسام في أكثر البلاد قبل الفتح الإسلامي لها.

كان في المجتمع الإسباني عدة طبقات آنذاك، أهمها:

1- طبقة النبلاء: إنهم الأمراءُ القوطُ وعلى رأسهم الملك،

ويشاركهم في نفس الطبقة بقايا طبقة النبلاء الرومان الذين تحالفوا معهم للمحافظة على مكتسباتهم وامتيازاتهم.

وكان أفرادها قليلي العدد، نعِموا بامتلاك الإقطاعات الكبيرة والضياع الواسعة التي كان يعمل في فلاحتها آلاف المزارعين من الأرقاء العبيد.

2- طبقة رجال الدين والكنيسة:

رجال الدين والكنيسة الذين يشاركون النبلاءَ في حكم البلاد والاستمتاع بخيراتها، وكانوا على درجة عالية من الثراء، وساعدهم على نيل تلك الدرجة تديّنُ الإسبان.

3- طبقة التجار والزراع والملاك الصغار:

عاشوا في المناطق الريفية والحضرية واضطرّ كثير منهم -بفعل ظروفهم الاقتصادية الصعبة- الى أن يتنازلوا عن أراضيهم للنبلاء؛ فإنهم كانوا يتحملون ضرائب مختلفة.

4- طبقة الشعب الدنيا:

تكوّنت هذه الطبقة من المزارعين العبيد والعاملين الأرقاء، ولسادتهم عليهم حق الحياة أو الموت، وكانوا مسخَّرين لرفاهية الفئات الرفيعة من النبلاء والأسرة الحاكمة ورجال الدين.

الوضع الديني:

كانت الديانة النصرانية تروج في ربوع إسبانيا على المذهب االكاثوليكي في عهد حكم الرومان، ثم دخلها القوط واعتنقوا النصرانية لكن على المذهب الآريوسي ولم يفرضوا مذهبهم على سكانها، فكان أفراد كل مذهب يمارس شعائرهم الدينية في كنائسهم الخاصة بحرّية، ثم أحد ملوك القوط المسمى بِـ»ريكاريد» (586-601) حاول إصلاحَ وضع الدولة ورأى أن الإصلاح الحقيقي لا يتحقق إلا بتوحيد المذهب الديني في البلد، وأن الأقلية القوطية يجب أن تتحوّل إلى المذهب الكاثوليكي الذي يغلب على غيره من المذاهب، فتخلّى ريكاريد في عام 587 الميلادي عن المذهب الآريوسي وانتمى إلى الكاثوليكي الذي أصبح المذهبَ الرسمي للدولة و تبِعه سائر القوط، فتوحّدت الكنيسة الإسبانية تحت ظل الملكية القوطية، وصار اللغة اللاتينية كلغة رسمية في إسبانيا. لكن كان القوط حريصينَ على التفرد بالحكم؛ لما أنهم كانوا يرَون أنفسهم شعبا متميّزا، ومن جهة أخرى ينظر السكّانُ إليهم بمنظار أسود؛ لأنهم كانوا دخلاء على البلاد، وقد فرضوا سلتطتهم عليهم بالقوة. ومسألة القضاء على الازدواجية المذهبية أثارت جدلًا كثيرا ولم يُحقِّق الغاية المرجوة بشكل فوري، بل أمدّ رجال الدين وجعَلَهم مشاركين في الحكم و السلطة.

وكان في إسبانيا عدد من السكّان الوثنيّين لكنهم كانوا تحت وطأة تعذيب الكنيسة ليدخلوا النصرانية، ولم يُجدِ معهم التعذيب، بل فشل رجال الدين.

وعاشتْ في إسبانيا جماعة كبيرة من اليهود، اغتربوا من فلسطين إلى إسبانيا لاضطهاد الرومان لهم فيها، وكانوا منبثّين في إسبانيا، لكنّهم تركّزوا في الأماكن الحضرية المتقدمة المتطورة، مثل: طليطلة، والمناطق الجنوبية، والسواحل الشرقية من شبه الجزيرة.

كانت اليهود فيها على ثراء لِما امتلكوا من الضياع الواسعة، ولم يتعرّضوا في مستهلّ الحكم القوطي لمضايقة، بل سُمح لهم بالحرّيّة، لكن شعر القوطُ بوطأة اليهود من تصرّفاتهم التي عُدّت معادية للحكومة، نحو: السيطرة الاقتصادية، وتعاطي الربا الفاحش، وهلم جرا، فبدأوا يتعرّضون لشتّى أنواع الاضطهاد.

وخطا القوطُ خطوة أخرى في عام 613 الميلادي وقرّروا تعميدَ اليهود خلال عام واحد أو نفيَهم ومصادرة أموالهم إذا رفضوا وأبَوا، فتنصّر كثير من اليهود رياءً، وهرب الرافضون إلى شمالي إفريقيا، وصدرت قرارات شتى قاسية عنيفة من مجمع طليطلة لتنصير اليهود، لكن لم تُحقِّق هدفها الخاص؛ لما أن اليهود استطاعوا تخفيف التشريعات المفروضة عليهم عن طريق رشوة النبلاء ورجال الدين.

والواضح أن التضييق الذي تعرّض له اليهود، والظروف السيئة التي عاشها الطبقة المتوسطة والسافلة أدّتْ إلى تفكّك المجتمع وانهياره، وأضِف إلى ذلك أن ثورات العصيان والمؤامرات المستمرة التي يقوم بها النبلاء من أجل الوصول إلى العرش أنهكت البلادَ وأوصلتها إلى حال يرثى لها، ولقد حدث قبل الفتح الإسلامي بسنة واحدة أقوى تنافس على الحكم في البلاد وسهّل أمرَ القضاء على دولة القوط.

.....

المراجع:

1- التاريخ الأندلسي: عبدالرحمن علي الحجي

2- تاريخ افتتاح الأندلس: القرطبي

3- تاريخ المسلمين في الأندلس: محمد سهيل طقوش

إذا وسد الأمر إلى غير أهله

للطالب: علي صفائي

إن في بعض القصص عبرًا ودروسًا، وهناك قصص لا يمل الزمان من ترديدها، ولا تشبع الآذان من نشيدها، وقد خلق الله للإنسان عقلا ليفكر به ويعتبر من القصص المختلفة، كما أمره الله بأن يقرأ القصص ليعلم الصواب من الخطأ، وليأخذ العبر من أخطاء السابقين كما قال: «فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»(أعراف:176)

وأرجو من القارئ أن يجمع في عقله أو على ورقه الفوائد التي حققها من تلك القصة.

وقعت في إحدى المستشفيات المعروفه المشهورة على ألسنة الخلق نكبة وانتشر خبرها بين الناس.

هذه الكارثة حيرت الأطباء، وأكرثتهم، وأذهلتهم! صاروا سارحين في الفكر، مستغرقين في خيالهم، وكانت هذه الكارثة تفاجئهم في كل أسبوع مرة واحدة.

كانت في المستشفى غرفة في قسم الرعايات الخاصة، وكان المرضى في هذه الغرفة يموتون بلا سبب وبلا دليل، بل أعجب من ذلك كانوا يموتون في يوم بعينه وساعة بعينها وسرير بعينه، يوم الأحد والساعة الحادية عشرة ظهرا، وموتهم لا يتعلق بنوع المرض، وكان ذلك السرير مصرع المرضى، يموت كل من اضطجع عليه كائنا من كان، شيخا كان أو شابا، رجلا كان أو امرأة، ضعيفا كان أو قويا.

هذه القضية أصبحت عالقة على أذهان كثير من الأطباء وسرى خبرها في المستشفي سريان النار في الهشيم.

هناك عرفوا أن الذي يحدث مما لا تتصوره الأذهان ولا تتوقعه الأنظار، وهو مما لا يخطر على بال. أو ليس عجيبا أن المريض يموت بلا دليل؟!

فعزم الأطباء أن يحسموا الداء قبل استحفالها، وتذاكروا في شأن الحادثة؛ لأنهم رأوا أن خوفها يزداد، ويتفاقهم يوما بعد يوم، وساعة إثر ساعة.

فاجتمعوا كي يلقي أهل الرأي تعليقاتهم في شأن الحادثة.

بعضهم قائلون: إن هذه القضية تعود إلى الأرواح والأجنة، وبعضهم يعتقدون خلافهم أنها تتعلق إلى أسباب طبيعية ومادية.

صارت الحادثة كعمود أصله في الأرض ونهايته في السماء؛ لأنهم صاروا عاجزين عن حلها. غدت أشعة الشمس تلهب الأرض إلهابا؛ ولكن الأطباء ما زالوا لابسين لباس اليأس، ولم تكتحل بالنوم أعينهم. إن اليوم ما كان كيوم عادي يكون من أربع وعشرين ساعة، بل من أربع وعشرين سنة؛ لأنهم صاروا حيارى.

بعد دراسات طويلة وأفكار طويلة هموا أن يجعلوا الكاميرا الخفية في الغرفة التي باغتتهم فيها الحادثة ليتبيّن لهم الأمر.

حضر الأطباء كلهم ليروا بأم أعينهم ماذا يلمّ بالمرضى!

هنالك تزتزل كل أحد وحق للجبال الراسيات أن تتزلزل، تسرب الخوف إلى قلوبهم، وانحدر الحزن إلى نفوسهم، واستولى اليأس وسيطر عليهم الصمت!

بعضهم كانوا يدعون ربهم وينيبون إليه، وبعضهم يحملون معهم الصليب يقبّلونه.

قرب وقت الحادثة وقفت شعور أجسادهم من شدة الخوف، وشحبت وجوههم، واشتدت نبضات قلوبهم، وتلاحقت أنفاسهم.

فتح باب الغرفة وإذا بالكناس الذي ينظف الغرفة يوم الأحد يدخل وفي يده مكنسة كهربائية. هذا الكناس بهدوء وسكون أخرج سلك جهاز التنفس من منشبه ووصل سلك مكنسته الكهربائية والمريض مات من ضيق التنفس!

نعم!!!

صدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «إذا وُسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».(صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب من سئل علمًا).

إن إسناد الأمور إلى غير أهلها أمانة في عنق ولي الأمر، فإذا أسندها إلى غير أهلها مع وجود أهلها فقد خان تلك الأمانة. من أهم مظاهر تضييع الأمانات إسناد أمور الناس من إمارة وقضاء ووظائف أخرى إلى غير لائقين بها، ومن تولّى مسؤولية وهو عالم بأنه غير قادر على القيام بها فقد ارتكب أعظم خيانة.

إن المشكلة التي يعاني منها أكثر المجتمعات الإسلامية اليوم أنك تجد الكثير ممن يعملون في المؤسسات الحكومية والعامة ليسوا لائقين لعملهم وهذا مسبب لكثير من المشاكل.

قال الشيخ صفوت محمد عمارة: إن مفهموم الأمانة ليس قاصرا على رد الوديعة والأمانات إلى أصحابها كما هي، ولكن مفهوم الأمانة في الإسلام أوسع وأضخم وأثقل مما يتصوره عامة الناس. أساسها إدارك المرء ويقينه بأنه سيسأل أمام ربه ويحاسب على كل أمر يكلّف به ويوكّل عليه. فعلى الموظف والمرؤوس وعلى العالم والعامل والخادم أن يؤدي كل واحد منهم العمل على أكمل وجهه وأحسنه.

الأدب سلّم يرتقي به الطالب

للطالب: مصطفى كلدادي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي فضل بني آدم بالعلم والعمل على جميع العالم، والصلاة والسلام على محمد سيد العرب والعجم، وعلى آله وأصحابه ينابيع العلوم والحكم.

قال الله تعالى: «يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ».

إن الله تبارك وتعالى بعث محمدا -صلى الله عليه وسلم- على علم منه، واختاره لنفسه، وبعثه برسالته، ونزل عليه كتابه، وكان صفوته من خلقه، ورسوله إلى عباده، وقد اختار الله سبحانه وتعالى محمدا -صلى الله عليه وسلم- خيارا من خيار. وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كثير الضراعة والابتهال، دائم السؤال من الله تعالى أن يزيّنه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق، فكان من دعائه: «اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي، فَأَحْسِنْ خُلُقِي» (1). ويدعو الله أن يجنّبه مساوئ الأخلاق فيقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ»(2). فاستجاب له الله وفاء بقوله تعالى: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»(غافر/60). ونزّل عليه القرآن الكريم، وأدّبه به،فكان خلقه القرآن، وأثنى عليه بقوله تعالى: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ»(قلم/4)، وأمرنا أن نقتدي به بقولِه تعالى : «لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»(أحزاب/21)

إن تحصيل العلوم الشرعية من أكبر السبل وأفضل الطرق، وقد جعل الله لسالكها أجرا عظيما لما فيها من شدائد ومشقات، فإن طالب العلوم الشرعية ربما يتقشف ويقاسي من شظف العيش ما يعجز عنه أترابه. لا بد لطالب العلم أن يزين نفسه بأحسن الأخلاق والآداب وأكملها حتى يدرك غاياته. ولكن ما هو الأدب؟!

الأدب: من أدُب أدَبًا فهو أديب، أي: تأدّب واستأدب وجمعها: آداب،وكلمة: أدب مرادفة لكلمة خلق، وجمعها: أخلاق، لقوله تعالى: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ»، وكذلك كلمة التعلم تأتي دالّة على الصفات، والخصائص، والأخلاق التي يتصف بها الشخص الذي يتم اختياره لمهنة أو صنعة معينة، ويقصد بها في التربية المعاصرة: الشروط والواجبات والقواعد المثلى التي يجب أن يتحلّى بها الطالب والعالم.

أهمية الأدب لطالب العلم اعلم أن طالب العلم لا ينال العلم ولا ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله، وبرعاية آداب العلم وتعظيم الأستاذ وتوقيره، ولو كان الطالب تلميذا مثاليا ويحصل على درجات عالية ويتفوق على زملائه دائما ولكنه في الوقت نفسه لا يستغني عن رعاية هذه الآداب التي هي ضرورية لطلبة العلم ووصولهم إلى غاياتهم.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»(3) وأيضا روي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن قال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»(4) وقال سلف لابنه: «لأن تعلم بابا من الأدب أحب إلي من أن تتعلم سبعين بابا من العلم».

كل شيء له آداب، مثل آداب الطعام والكلام وقراءة الكتب

والمشي غيرها. ولكن طريق العلم له آدابًا رعايتها محتّمة على المتعلم وهي: آداب المتعلم في نفسه:
أن يطهر نفسه وقلبه من الخبائث ما ظهر منها وما بطن. إنّ من الآداب الفاضلة واللازمة أن يراقب نفسه، ويطهر قلبه من الأدناس ليصلُح لقبول العلم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي قال: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». وقيل: تطييب القلب للعلم كتطييب الأرض للزراعة.
ينصح الإمام عبدالقادر الكيلاني المتعلم بأن يصلح قلبه قبل أن يبدأ بالتعليم.
أن يبدأ التعلم في الصغر:
إن التعلم في الصغر مأمور به شرعا وعرفا؛ ومعروف بين العلماء أن «الحفظ في الصغر كالنقش على الحجر».
أن يثق بنفسه لتخطي الصعاب التي تواجهه. أي أن يكون المتعلم واثقا بنفسه، معتمدا على قدراته الذاتية، العقلية منها والجسمية لتجاوز الصعوبات والمعقولات التي تعترض مسيرته التعليمية، وأن يجنّب عنه اليأس الذي قد يعتريه من صعوبة بعض العلوم. قال الله تعالى: «فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ»(آل عمران/159).
أن يكون صادق العزيمة، عالي الهمة، قوي الإرادة فلا يرضى باليسير مع إمكان الكثير، قال تعالى: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا، وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ»(عنكبوت69)
قال الشافعي -رحمه الله-: والجد يدني كل أمر شاسع... والجد يفتح كل باب مغلق
الحرص على أن يكون طعامه حلالا، وأن يكتفي باليسير: أمرنا الله سبحانه و تعالى أن نأكل الطيب والحلال من الطعام، بقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ»(بقرة172).
يؤكد الغزالي على المتعلم أن يكون طعامه حلالا، وأن يأكل اليسير منه، لأن ذلك يجعله مستجاب الدعوة، وأكثر حفظا، وأما العكس في الحرام والإفراط فيه، فإن ذلك يسوّد القلب، ويورث النسيان.
أن يغتنم شبابه وصحته ووقت فراغه. أوصى النبي -صلى الله عليه وسلم- بالاستفادة من مرحلة الشباب والصحة لإنجاز الأعمال المفيدة في الدنيا والآخرة بقوله -صلى الله عليه و سلم-: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»(5).
أن يتفرغ للتعلم، ويبتعد عن العلائق الشاغلة. نصح كثير من العلماء الأمة بضرورة المبادرة بالتعلم قبل تحميل أي مسئوولية مبيّنين فوائد ذلك.
كما قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «تفقهوا قبل أن تسوّدوا» أي تصيروا سادة فتستحيوا من التعلم.
أن يؤجل الزواج طيلة فترة تعلمه. إن الإشتغال بالزواج وحقوق الزوجة ورعاية الأولاد يمنع من إكمال طلب العلم، ويؤكد ابن الجوزي على أن فلاح المتعلم في تأجيل الزواج.
أن يهتم بنظافة وطهارة جسمه وملبسه.
أكد الله سبحانه وتعالى حبّه للطهارة والنظافة بقوله تعالى: «لَمَسْجِدٌأُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ»(توبة،108).
أن يكثر مما يورث الحفظ ويزيد نشاطه كقراءة القران، أكل الزيب، الدعاء والصلاة على النبي -صلى الله عليه و سلم-، إستعمال السواك، الورع و التقوى، -شكر نعمة العلم، الحجامة، وترك العصيان والذنوب وغيرها)
أن يقلل نومه ويمارس الرياضة والألعاب التي تناسبه، و يرى بعض العلماء السلف أن الرياضة والألعاب ضرورية للمتعلم لفوائدها العلمية التربوية.
آداب المتعلم مع معلمه:
ينبغي أن ينظر معلمه بعين الإحترام، ويعتقد كمال أهليته ورجحانه على أكثر طبقته، وعلى الطالب أن يدعو: «اللهم استر عيب معلمي عني، ولا تُذهب بركة علمه مني».
ومن آدابه مع معلمه أن يتحرى رضا المعلم، ولا يفشي له سرا، وأن ينهى عن غيبته إذا سمعها، فإن عجز فارق ذلك المجلس.
أن لايشير إليه بيده.
أن يكون متملقا متذللا لمعلمه.
أن يوقر معلمه ويعظمه.
أن يقتدي بمعلمه.
أن يصبر على جفوة معلمه.
أن يجعل حق معلمه عليه كحق والده.
أن يكثر من مجالسة العلماء ومصاحبة الفضلاء.
أن لا يُظهِر المتعلم الاستكفاء عن معلمه والاستغناء عنه.
أن يحسن خطابه مع معلمه.
أن يدعو له في حياته ،ويستغفر له، ويرعى ذريته وأقاربه وأودّاءه بعد مماته.
آداب المتعلم في علمه:
لا بد لطالب العلم من النية الصحيحة المرضية في زمان تعلم العلم!! النية هي الأصل في جميع الأحوال، لقوله عليله السلام: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»(6).
كم من عمل يتصور بصورة أعمال الآخرة، ثم يصير من أعمال الدنيا بسوء النية، ينبغي أن ينوي المتعلم بطلب العلم رضاء الله تعالى والدار الآخرة، فإن بقاء الإسلام بالعلم، وباعثه مرضاة الله تعالى.
يؤكد الغزالي على أن تكون نية المتعلم إرضاء الله تعالى، وإحياء الدين، وخدمة الإسلام، وإزالة الجهل، وشكر النعم؛ ولا ينوي به إقبال الناس، واستجلاب متاع الدنيا.
أن يرحل لطلب العلم. أشار الله إلى أهمية وضرورة الرحلة في طلب العلم في مواضع عديدة، منها قول الله تعالى: «فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»(توبة122)
وروي عن صفوان بن عسالَ المرادي -رضي الله عنه- قال: أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر، فقلت له: يا رسول الله! إني جئت أطلب العلم، فقال -صلى الله عليه وسلم- مرحبا بطالب العلم، إن طالب العلم تحفّه الملائكة بأجتحبها،

ثم يركب بعضهم حتي يبلغوا السماء الدنيا من محبّتهم بما يطلب.
أن يتعلم الأهم ،ثم المهم من العلوم.
أن يستمر بطلب العلم ويستزيد منه.
أن يتواضع في حال طلبه العلم.
أن يحفظ العلم الذي يتعلمه.
أن يكتب ما يحفظه وما يتعلمه.
أن يعتني بخطّه وتحسينه.
أن يعمل بالعلم.
أن يسأل ويبحث عمّا يجهله.
أن يتوسط المتعلم في بذل جهده لتحصيل العلم. آداب المتعلم مع أقرانه:
أن لا يحسد أحدا من أقرانه، ولا يحتقره، ولا يفخر عليه، ولا يعجب بفهمه وسبقه له، فقد كان مثله، ثم منّ الله تعالى عليه، فليحمدلله تعالى على ذاك، ويستزيده منه بدوام الشكر.
أن يتأدب مع أقرانه في مجلس شيخه، فإنه أدب معه وإحترام لمجلسه وهم رفاقه، فيوقر أصحابه ويحترم كبراءه وأقرانه.
أن لايعاشر ألا المجدين من أقرانه؛ فإنه يتأثر بسلوكهم، ويؤثر فيمن حوله.
أن يذاكر مع أقرانه، وليعلق ذلك على خاطره، فإن تكرار المعنى على الفكر كتكرار اللفظ على اللسان سواء بسواء.
آداب المتعلم في درسه ومجلسه:
أن لايخوض في فنّ من فنون العلم دفعة واحدة.
أن لا يأخذ العلم من بطون الكتب من غير قراءة على شيوخ خوفا من التصحيف والغلط، وقال الشافعي -رحمه الله-: «من تفقه من بطون الكتب ضيّع الأحكام».
ومن أدب الطالب تعظيم الكتاب، فينبغي له ألا يأخذ الكتاب إلا بالطهارة، وألا يمد رجله إلى الكتاب، ويضع كتب التفسير فوق سائر الكتب.
أن يحضر الصف بالطهارة والنشاط مبكرا، وأن يجلس مستقبلا القبلة.
أن يُحضر الذي يقرأ فيه معه، ويحمله بنفسه، ولا يضعه عند القراءة على الأرض مفتوحا، بل يحمله بيده ويقرأ منه.
أن يبدأ القراءة بالإستعاذة من الشيطان الرجيم، ثم يسمي الله، ويحمده، ويصلي على النبي -صلي الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه، ثم يدعو للشيخ ولوالديه ولمشايخه ولنفسه ولسائرالمسلمين، وكذالك يفعل كلما شرع في قراءة الدرس أو المطالعة أو مقابلته في حضور شيخه، أو في غيبته، ويترحم على مصنف الكتاب عند قراءته.
ينبغي أن يتأدب في حضور الدرس بأن يحضر على أحسن الهيئات وأكمل الطهارات، ويُحسِن جلوسَه واستماعه وإيراده وجوابه وكلامه وخطابه.
أن يحفظ في كل فن مختصرا يجمع فيه ما تيسر بين طرفيه، ويقدم الأهمّ فالأهمّ، ومن أهمها التفسير، ثم الحديث وعلومه، ثم الفقه والنحو والتصريف، ثم ما تيسر من باقي العلوم.
أن لا يرفع صوته رفعا بليغا من غير حاجة، ولا يضحك، ولا يكثر الكلام بلا حاجة.
أن لا يعبث بيده و لا غيرها، ولا يلتفت بلا حاجة، بل يقبل على الشيخ مصغيا إليه.
أن لا يستحي من سؤال ما أُشكل عليه، واستفهام ما لم يتعلمه بلطف وحسن خطاب وأدب، ولا يستحي من قوله لم أفهم، لأن استثباته يحصل له مصالح عاجلة وآجلة، فمن العاجلة حفظه المسألة، وسلامته من كذب ونفاق بإظهاره فهم ما لم يكن فهمه، وإنما سمي طالب العلم «ما تقول» لكثرة ما كانوا يقولون في الزمان الأول: ما تقول في هذه المسألة.
أن يتقدم المتعلم على المدرس في حضور موعد الدرس، ولا يتأخر إلى بعد جلوسه وجلوس المتعلمين.
فيا أيهاالطالب!
زين نفسك بهذه الصفات الجميلة ولو عمل الطالب بها فهو طالب ناجح مئة بالمئة، إن شاءالله تعالي.
أسأل الله السميع العيلم،أن يجعلنا من تلاميذ المدرسة المحمدية والنابهين فيها.
.....
استفدت في جمع هذه المقالة من الكتب التالية، وينبغي للطلاب المراجعة إليها للاستزادة، فإن الأدب من مقوّمات التقدم لدى طلاب العلوم الشرعية وعناصره الأصلية، كما لا يخفى على البصير.
1- رواه أحمد ورجاله رجال الصحيحين
2- سنن ترمذي/3591
3- سنن الترمذي، أبواب العلم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث 2682
4- سنن الدارمي، المقدمة، باب: من قال: العلم الخشية وتقوى الله، حديث 297
5- كتاب السنن الكبرى، النسائي، كتاب المواعظ، حديث 11832
6- صحيح البخاري، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.
واستفدت لكتابة هذه المقالة بالكتب التالية أيضا:
7- جامع بيان العلم و فضله، لإبن عبدالبر النمري القرطبي.
8- أيها الولد، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي.
9- تعليم المتعلم طرق التعلم، لعبد الله الزرنوجي. 10- تذكرة السامع المتكلم في أدب العالم والمتعلم، لإبراهيم بن عبدالرحيم الكناني ابن جماعة. 11- مرحبا بطالب العلم، لماهر فرج عمارة.
12- آداب العالم والمتعلم، للإمام النووي. 13- آداب تحصيل العلم لبدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله. 14- آداب العالم والمتعلم، للدكتور فاضل عباس علي النجادي.

ها قد أتى رمضان

ها قد أتى رمضانُ يا إخوانـــي ... هيـــــا بنا لتـــلاوة القـــــرآنِ
هـــيا نردّد آيه وحـــــروفَـــه ... فبـه ســـندخُل جـــــنةَ الرحـمٰنِ
هيا بنا نحيي القلوبَ وروحَـنا ... بالبر والصـــدقات والإحـــــسانِ
هيا نقوم الليلَ نبكي حُـرقةً ... فلقد أسَـــأنا ســـالفَ الأزمـــــانِ
هيانعينُ المستغيثَ ونطعمُ الـ ... ـفقراء كي نقـــضي على الأحزان
فعسى المليك بفضله يعفوعن الـ ... ـموصوف في الـــقرآن بالنسيان
أتُراه ينسانا وينســـى دمعةً ... جادت فـــسالتْ إثرها العيـــنانِ؟
حاشا وربي لا يضيـــع داعـيًا ... إذ قال في النص الصريح: {دَعَانِ}
سبحانه الغـــفار جـــل جلاله ... فعساه يُعـــتقنا من النـــيرانِ

لؤي خالد مقرش

AL-ANVAR 33
journal of: HOZE ELMI YE ANVAROL OLOOM
KHEYR ABAD . TAYBAD

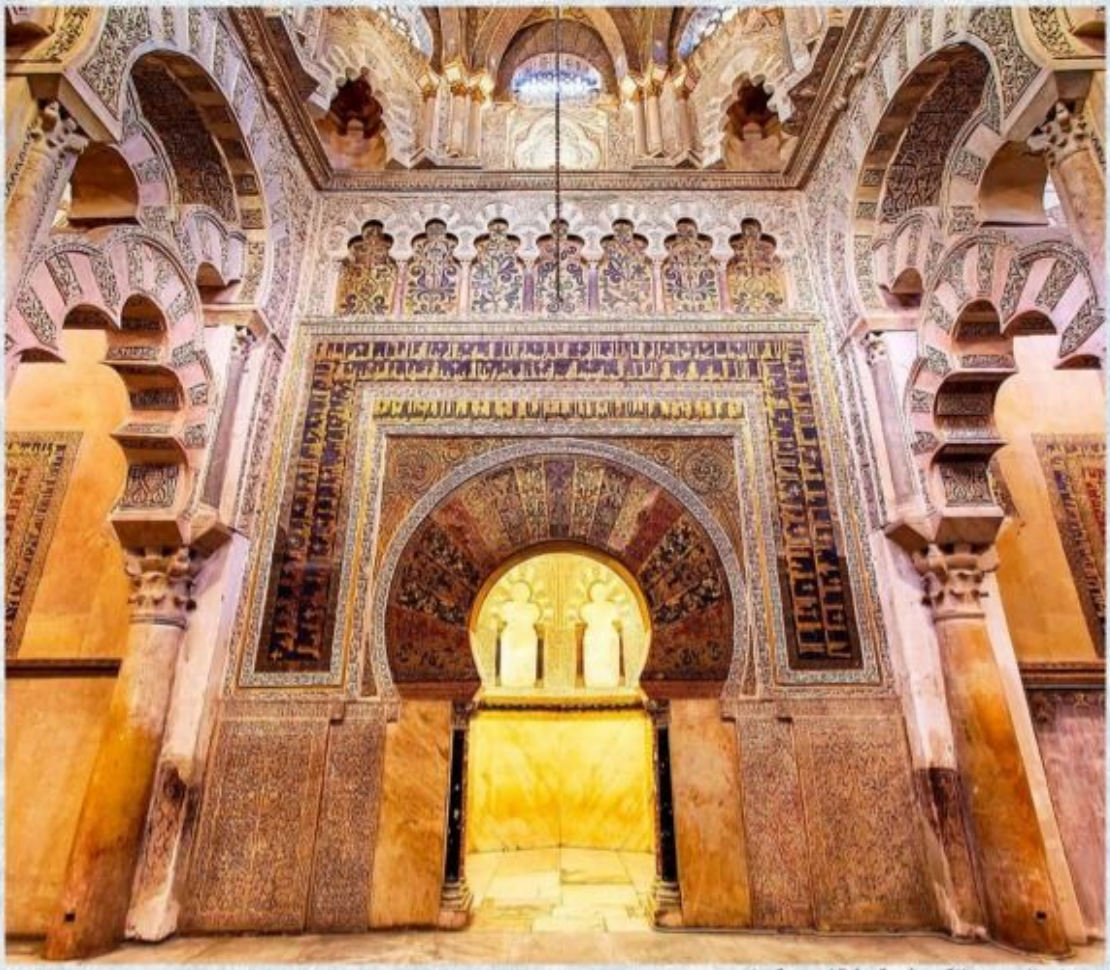

محراب المسجد الكبير في قرطبة / مسكيتا

إلى القرّاء الكرام

مجلّة الأنوار تصدر برئاسة الشيخ عبدالمجيد رجبعلي زاده وتحت إشرافه وتوجيهاته، وهو عرف منذ باكورة مساعيه العلمية و الدعوية بالمرونة والتوسّط والتحرّز عن أي فكر يحمل إفراطاً وتفريطاً في الدين ولا يزال يدعو إلى ذلك بمواعظه ونصائحه ويسعى أن يدرّب الجيل الجديد وأصحاب القلم على مجانبة أي اصطدام فكري وعقائدي مع الفرق الأخرى وهو مع ذلك يتألّم لأوجاع العالم الإسلامي ويهتمّ بأمور المسلمين لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الكفر هي السفلى، ويرى أن المدارس الدينيّة معاقل حصينة لصيانة حقيقة الإسلام ونشر التعاليم الصحيحة المستنبطة من القرآن والسنّة والصدع بالحق وتوجيه الشعب نحو الأهداف المنشودة الحقّة وإنقاذه عن الانحرافات والضلالات.

فالمجلّة من هذا المنطلق تحتضن أهدافاً تدعو إليها بالقلم وهي كالتالي:

- التصوير الدقيق للإسلام وتبليغ الكتاب والسنة
- الدعوة الى التوسط والاعتدال في الفكر والعقيدة
- توعية الأمة لمواجهة الحركات الهدامة كالاستشراق والتبشير
- تثقيف الجيل الجديد وتربيته تربية ثقافية ايمانية اسلامية بحسب حاجات المجتمع ويوائم مع مستجدات العصر
- احياء تراث خراسان الثقافي والتعريف برجالها من الدعاة والمحدثين والمفسرين والفقهاء واللغويين
- أداء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقلم
- الدعوة الى اتحاد جميع الاتجاهات الدينية
- [illegible] الى نفوس الشباب بأن الإسلام لا [illegible] جنته